روايات عالمية للجيب

٥





تأليف : بيتر بينشلى
ترجمة : إيناس النجار
إعداد : د . نبيل فاروق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

١ ـ ليل .. ودماء ..

غمر السكون تلك الليلة ، وانتشر الظلام فوق الأمواج المتلاحقة على رمال الشاطئ ، وبدا مشهد البحر هادئًا ، لا يشفّ أبدا عما يدور فى أعماقه ، تحت سطحه الغامض ، فى ليلة من ليالى منتصف يونيو ..

ولكن هناك .. فى الأعماق ، كانت تلك السمكة الهائلة تسبح وسط السكون ، محرّكة ذيلها الهلالى فى حركات قصيرة ناعمة ، وأسنانها منفرجة على نحو يسمح بتدفّق المياه فوق خياشيمها ، وهى تعدّل مسارها كل فترة ، بلا هدف أو مسار محدود ، وحواسها لا تنقل إلى فمها البدائى أية أمور غير عادية ، حتى ليخيّل إليك أنها نائمة ، لولا حركة ذيلها وزعانفها ، التى تمليها غريزة موروثة ، عبر ملايين السنين ، لتضمن لها البقاء ؛ إذ لم تكن تملك ـ كغيرها من الأسماك ـ كيس هواء تطفو به ، ولا مراوح تحقق لدفع الماء المحمّل بالأكسجين إلى خياشيمها ..

كل هذا تفعله بحركتها الدائمة ، التى لا تنقطع منذ مولدها ، وحتى ترقد فى القاع لتموت ..

وفى حركتها الدائمة ، لم تكن سمكة القرش تشعر بما يدور على الشاطىء ، حيث غادر رجل وامرأة كوخهما الصيفى ، وراحا يسيران على رمال الشاطىء ، يضربان الأمواج بأقدامهما ، ثم لم يلبثا أن استلقيا على الرمال ، يتطلّعان إلى السماء الخالية من القمر ، بنجومها اللامعة ، ويتناجيان بعبارات عشق وهيام ، حتى هبّت المرأة واقفة ، وسألت الرجل فى حماس :

— ألا ترغب فى السباحة قليلاً ؟

أشار إليها بيده نافيًا ، وأسبل عينيه فى استرخاء ، فأسرعت هى نحو البحر ، وداعبت المياه الباردة بأطراف أصابع قدميها ، قبل أن تهتف به مرة ثانية :

— أأنت واثق من عدم رغبتك فى السباحة ؟

تمتم وهو يسلم جسده للنعاس :

— تمامًا .

تراجعت هى إلى الخلف ، ثم اندفعت تقفز داخل الماء ، والأمواج تضرب قدميها ، ثم لم تلبث أن ألقت نفسها فوق

موجة قادمة ، وراحت تسبح فى نشوة واستمتاع ..

وعلى بعد مائة متر من الشاطىء ، استقبلت حواس السمكة تغيّرًا فى إيقاع البحر ..

صحيح أنها لم تر المرأة ، ولم تستقبل رائحتها بعد ، وإنما استقبلت شعيراتها العصبية ذبذبات آتية من اتجاه الشاطىء ، فاتجهت نحوها فى صمت ، ولم تلبث أن عبرت أسفل المرأة ، على عمق مترين ، ثم تجاوزتها بعدة أمتار ..

وشعرت المرأة بموجة مباغتة ، ترفعها إلى أعلى ، ثم تهبط بها إلى أسفل فى بطء ، فتوقّفت عن السباحة ، وانحبست أنفاسها فى خوف ، وراحت تتطلّع إلى الشاطىء البعيد ، محاولة استعادة بعض الطمأنينة ، برؤية أضواء كوخها الصيفى ، ثم لم تلبث أن عاودت السباحة فى حذر ، عائدة إلى الشاطىء ..

ولكن سمكة القرش شمت رائحتها الآن ، واستقبلت ذبذبات ضربات يديها على سطح الماء فى وضوح ، فأخذت تدور فى حلقة واسعة ، صاعدة إلى السطح ، حتى شقت زعنفة ظهرها سطح البحر ، وارتفع جسدها فوق المياه ..

وعلى الرغم من أن المرأة لم تر سمكة القرش ، إلا أن الخوف سرى فى عروقها ، ودفع كمية من الأدرينالين إلى دمائها ،



وعلى الرغم من أن المرأة لم تر سمكة القرش ، إلا أن الخوف سرى فى عروقها ، ودفع كمية من الأدرينالين إلى دمائها ..

فراحت تسبح بسرعة أكبر ، محاولة بلوغ الشاطىء ، الذى يبدو واضحًا من بعيد ..

وفجأة انقضت عليها سمكة القرش ..

ارتفعت من تحت الماء كجبل هائل ، وانفتح فكاها عن آخرهما ، ثم انطبقت أسنانها على جذع المرأة ، التى أطلقت صرخة رعب وألم هائلة ، وحاولت أن تضرب الماء بقدميها ، لتصعد إلى السطح ، ولكن الأسنان الحادة كالمنشار جذبتها إلى أسفل ، وغاصت بها فى الأعماق ، فكتمت المياه صراخها ، و ...

.. وارتفعت بقعة دماء كبيرة إلى السطح ..

.. ثم عاد الهدوء ..

* * *

فتح الرجل عينيه ، مستقبلًا أضواء الشفق الأولى ، التى تنبىء بقرب شروق الشمس ، وشعر ببعض البرد يسرى فى أطرافه ، وهو يرقد على رمال الشاطىء ، وأدهشه أن استغرق فى النوم على هذا النحو ، فنهض يتثاءب ، وانعقد حاجباه فى غضب ، لأن زوجته لم توقظه ، قبل عودتها إلى الشاطىء ، ثم شعر بالدهشة ، عندما رأى حذاءها على مقربة منه ، فحمله

عائدًا إلى الكوخ ، الذى ظلت أضواؤه مشتعلة طوال الليل ، وسار على أطراف أصابعه ، وهو يدلف إليه ، ويلقى نظرة على حجرة معيشته الخالية ، وقد تناثرت فيها الأكواب الفارغة ، وأعقاب السجائر ، ثم اتجه إلى حجرة النوم ، وأدهشه أن وجدها خالية ، لا أثر لزوجته فيها ، فتطلّع إلى ساعته ، وساوره القلق عندما وجد أنها تشير إلى الخامسة صباحًا ، وراودته لأوّل مرة فكرة وقوع مكروه لها ، فسرت فى جسده ارتجافة باردة ، وهتف لنفسه فى ذعر :

ـ ماذا لو أنها غرقت ؟

كان هذا الخاطر يكفى لبث كل الرعب فى عروقه ، فاندفع مغادرًا حجرة النوم إلى حجرة نوم أخرى ، يقيم فيها صاحب الكوخ الأصلى وزوجته ، وقرع بابها فى انزعاج شديد ، جعل صاحب الكوخ يهبّ من فراشه منزعجًا ، ويندفع إليه ، هاتفًا فى غضب :

ـ (توم) .. هل تعرف كم الساعة الآن ؟

أجابه (توم) فى توتر :

ـ أعلم يا (جاك) ، ولكن (كريس) اختفت .

هتف (جاك) :

ـ اختفت ؟! .. ما الذى تعنيه بقولك هذا ؟.. هل بحثت عنها فى حجرة المعيشة ، أو ...

قاطعه (توم) :

ـ لقد بحثت فى كل مكان ، وأخشى أنها قد .. قد ..

ازدرد لعابه ، فى محاولة للسيطرة على تهيج أعصابه ، قبل أن يكمل :

ـ قد غرقت .

ارتفع حاجبا (جاك) فى ذعر ودهشة ، ولم ينبس ببنت شفة ، وإنما اندفع نحو الهاتف ..

.. وبدأت عملية البحث ..

* * *

استغرق الشرطى (لين هندريكس) فى قراءة رواية بوليسية مثيرة ، وهو يجلس خلف مكتبه ، فى قسم شرطة (أميتى) ، حتى أن جسده انتفض انتفاضة عجيبة ، عندما ارتفع رنين الهاتف المجاور له بغتة ، يشقّ سكون الفجر ، فالتقط سمّاعة الهاتف فى شىء من السخط ، ووضعها على أذنه قائلًا :

ـ هنا الشرطى (هندريكس) ، فى قسم شرطة (أميتى) ، فى خدمتكم .

أتاه صوت مضطرب ، يقول :

ـ أنا (جاك فوت) ، أقيم فى شارع (أولد ميل) .. أريد أن أبلغ عن سيِّدة مفقودة .. لقد ذهبت للسباحة مع زوجها ، فى الواحدة صباحًا ، ولم تعد بعد ، و ..

قاطعه (هندريكس) بلهجة رسمية :

ـ ما اسمها ؟

ـ (كريستين واتكنز) .

ـ العمر ؟

ـ حوالى خمسة وعشرون عامًا .. زوجها يقول هذا .

ـ الطول والوزن ؟

ـ طولها يقرب من مائة وستين سنتيمترًا ، ووزنها حوالى الستين كيلو جرامًا .

ـ ما لون الشعر والعينين ؟

وهنا شعر (جاك) بالسخط ، فهتف :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالله عليك ؟ .. إننى أتحدث عن سيِّدة غرقت فى البحر .

قال (هندريكس) فى هدوء :

ـ ومن قال إنها غرقت ؟ .. أليس من المحتمل أنها قد هربت مثلًا ؟

صاح (جاك) :

ـ فى ثوب الاستحمام ؟!.. هل رأيت فى حياتك كلها امرأة تهرب فى الواحدة صباحًا ، فى ثوب استحمام ؟!

بدا (هندريكس) شديد البرود ، وهو يقول :

ـ هذا لا يحدث عادة فى (أميتى) ، ولكن كل شىء ممكن فى الصيف ، ففى أغسطس الماضى رقص بعض الشبان الطائشين أمام النادى ، فى ثياب يندى لها الجبين ، والآن ، ما لون الشعر والعينين ؟

زفر (جاك) فى حنق ، وأجاب :

ـ شعرها ذهبى ، وعيناها لهما لون عسل فاتح .

قال (هندريكس) بهدوئه المثير :

ـ حسنًا يا مستر (فوت) ، سنقوم باللازم ، ونتصل بك فور توصّلنا إلى أى شىء .

وأنهى الاتصال فى بساطة ، وهو يتطلّع إلى ساعته .

.. كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة وعشر دقائق ،

والرئيس لن يستيقظ من نومه قبل ساعة، وهو لا يحب أن يوقظه قبل موعده، من أجل بلاغ تقليدى عن غياب امرأة ولكنه يخشى أن يغضب الرئيس لعدم إيقاظه، فالرئيس (برودى) رجل نادر، يمنح عمله الجزء الأكبر من وقته واهتمامه، ويصرّ دائمًا على ضرورة التحرك بسرعة، خشية أن يكون الوقت هو السبب الوحيد للفشل..

وهكذا حسم (هندريكس) أمره، ورفع سمّاعة الهاتف، وطلب رقم الرئيس (برودى)، وانتظر لحظات، حتى سمع صوت الرئيس يقول بلهجة نصف ناعسة:

— من؟

أجابه فى حرج:

— أنا (هندريكس) يا سيّدى.. يؤسفنى إزعاجك فى الخامسة والثلث، ولكن..

قاطعه (برودى) فى ضيق:

— المهم أن يكون لديك سبب قوى لهذا.

أسرع (هندريكس) يجيب:

— بالطبع يا سيّدى.

وراح يقصّ عليه مضمون محادثة (جاك فوت)، وأضاف فى اهتمام:

— لقد رأيت أن أتصل بك على الفور، فربما تحبّ القيام بإجراء خاص، قبل أن تخرج المربيات مع الأطفال فى الصباح، فتفاجئهم جثة على الشاطىء.

قال (برودى) فى ضيق:

— ولماذا لم تتصل بزميلك (كيمبل)؟

ثم لم يلبث أن زفر فى ضيق، قائلًا:

— لا بأس.. أعلم أنه يغطّ الآن فى نوم عميق، داخل سيارة شرطة، فى مكان ما؛ لأنه يعمل صباحًا فى بار.. حسنًا.. سأحمل هذه المرة أيضًا، وسأذهب إلى (أولدميل) لبحث ما حدث.. انتظرنى فى القسم.

وأعاد (برودى) سمّاعة الهاتف، وتثاءب، ثم ألقى نظرة على زوجته، التى لم يوقظها رنين الهاتف، وابتسم وهو يداعب خصلات شعرها الناعمة فى حنان، ثم نهض يحلق لحيته، ويتناول قدحًا من القهوة، وارتدى ثيابه الرسمية، ثم بدأ عمله.

.. وفى تمام السادسة والنصف، كان (برودى) يدخل شارع (أولدميل)، تحت شمس ساطعة، فى سماء صافية، وراح يفحص الشاطىء أمام الأكواخ، وشعر بالارتياح لعدم

وجود جثث غرقى ، وألقى نظرة لا مبالية على بعض الأخشاب
التى لفظها البحر ، وعلى حزام الأعشاب الممتد بطول
الشاطىء ، وغمغم :

— من المؤكّد أنها لم تغرق ، وإلا للفظها البحر هنا .

ظلّ يفحص الشاطىء حتى السابعة ، دون أن يعثر على
شىء ، فاستقلّ سيارته عائدًا إلى قسم الشرطة ، وبلغه فى
السابعة وعشر دقائق ، واستقبله (هندريكس) ، فى اهتمام ،
وهو يسأله :

— هل عثرت على شىء أيها الرئيس ؟

هزّ (برودى) رأسه نفيًا ، وأدهشه أن بدت خيبة الأمل
على وجه (هندريكس) ، وكأنما يؤسفه أن عاد رئيسه
بلا جثة ، فسأله :

— ألم يعد (كيمبل) بعد ؟.. أخشى أن يكون نائمًا ،
فسيكون من المؤسف أن يرى الناس ، وهم فى طريقهم إلى
عملهم ، رجل الشرطة نائمًا داخل سيارته .

ابتسم (هندريكس) ، وقال :

— اطمئن يا سيّدى .. إنه يصل دائمًا فى تمام الثامنة .

لوّح (برودى) بيده ، وصبّ لنفسه قدحًا من القهوة ،

حمله إلى مكتبه ، وراح يرتشفه فى بطء ، وهو يطالع صحيفتى
(نيويورك ديلى نيوز) ، و(أميتى ليدر) ، والأخيرة صحيفة
محلّية ، تظهر أسبوعيًا فى الشتاء ، ويوميًا فى الصيف ..

.. وفى تمام الثامنة حضر (كيمبل) مع بديل
(هندريكس) ، فاستعدّ الأخير للانصراف ، عندما غادر
(برودى) مكتبه ، وقال له فى هدوء :

— سأذهب الآن لرؤية (فوت) .. هل تحب الذهاب
معى ؟

أجابه (هندريكس) فى حماس :

بالطبع ، فأنا أحبّ معرفة ما انتهى إليه الأمر .

اصطحبه (برودى) فى سيارته إلى كوخ (جاك فوت) ،
وعندما بلغاه ضحك (هندريكس) ، وهو يقول :

— أراهنك أننا سنجدهم نائمين .. هل تذكر تلك
السيّدة ، التى اتصلت فى الصيف الماضى ، بعد منتصف الليل
بقليل ، وقالت : إنها قد فقدت مجوهراتها ، وعندما عرضنا
الذهاب إليها على الفور ، اعترضت ، وطالبتنا بالحضور فى
الصباح ، لأنها تحتاج إلى النوم ؟

أجابه (برودى) ، وهو يغادر السيارة :

— سنرى .

لم يكد يقرع الباب حتى فتحه شاب وسيم ، سألهما فى قلق :

— هل عثرتما عليها؟.. أنا (توم كاسيدى) .. ونحن فى انتظاركم .

أجابه (برودى) :

— لا يا مستر (كاسيدى) .. لم نعثر عليها .. أنا الرئيس (برودى) ، وهذا الضابط (هندريكس) .. هل يمكننا الدخول ؟

أفسح لهما الشاب فى الطريق ، قائلا :

— بالطبع .. تفضلا إلى حجرة المعيشة ، وسأحضر مستر (فوت) .

لم تمض خمس دقائق ، حتى كان (برودى) قد عرف كل ما يمكنه معرفته ، ثم قرر أن يفحص الشاطىء مرة أخرى ، مع (هندريكس) ، و (كاسيدى) ، وعندما بلغا الموضع الذى رقد فيه (كاسيدى) على الشاطىء ، قال (برودى) :

— سنفحص الشاطىء من الجانبين .. اذهب أنت يا (هندريكس) إلى الشرق ، وسأذهب أنا وأنت يا مستر (كاسيدى) إلى الغرب ، ولتطلق صفارتك على الفور

يا (هندريكس) ، إذا ما عثرت على شىء ما .

انفصلا عند هذه النقطة ، وخلع (هندريكس) حذاءه ، وراح يضرب الأمواج بقدميه ، وهو يسير على رمال الشاطىء شرقًا ، وتساءل عن آخر مرة سبح فيها وسط الأمواج ، كما يفعل المصطافون ، وابتسم وهو يتذكّر إحصائية قرأها يومًا ، تقول إن نصف سكان (نيويورك) لم يشاهدوا فى حياتهم تمثال الحرية ، الذى يجذب آلاف السائحين إلى بلدتهم كل يوم ، وراح يضرب الماء بقدميه أسرع وأسرع ..

.. ثم فجأة جذب انتباهه تجمّع ضخم للأعشاب البحرية ، فاتجه إليه فى اهتمام ، وخُيّل إليه وجود شىء ما أسفل هذه الأعشاب ، فمدّ يده يزيحها جانبًا ..

.. ولم يكن يفعل حتى اتسعت عيناه فى رعب ، وتراجع كالمصعوق ، ثم انتزع صفارته من جيبه بأصابع مرتجفة ، وراح يطلق صفيرًا طويلًا متصلًا ..

.. ومن بعيد التقطت أذنا (برودى) الصفير ، فانطلق يعدو مع (كاسيدى) شرقًا ، وما أن وصلا إلى موضع (هندريكس) ، ورأيا ما رآه ذلك المسكين ، حتى صرخ (كاسيدى) فى ألم ورهب ، وهتف :

ـ إنها هى .. إنها هى ..
ثم انهار إلى جوار جثة زوجته ..
.. أو ما تبقى منها .

* * *

٢ ـ الصراع ..

شعر (برودى) بآلام بشعة فى معدته ، وهو يقاوم بقايا الاشمئزاز فى أعماقه ، فى أثناء كتابة تقرير الحادث ، وخفت تلك الآلام بعض الشىء ، وعندما انتهى من كتابة التقرير ، تاركًا خانة (سبب الوفاة) خالية ، فأزاح الأوراق جانبـــا ، وارتشف رشفة أخرى من قدح القهوة ، فى محاولة لتخفيف توتر معدته ، ولكن رنين الهاتف تصاعد . فالتقط سماعته ، وسمع صوت طبيب الشرطة يقول :

ـ أنا (كارل) يا (مارتن) .. قل لى : هل لديك شك فى وجود جريمة قتل ، خلف حادث مصرع (كريس) ؟

غمغم (برودى) فى دهشة :

ـ جريمة قتل ؟!

أجابة (كارل) :

ـ إنه احتمال مستبعد بالطبع ، ولكن قد يكون أى شخص مجنون قد استخدم فأسًا ومنشارًا ، و ...

أعاد الحديث إلى ذهن (برودى) ذكرى مشهد بقايا الجثة ، وبدأت معدته تنقبض على نحو سخيف ، فقاطع (كارل) قائلًا :

— لا يا (كارل) .. لا أعتقد هذا ؛ فلا يوجد دافع أو سلاح جريمة ، أو حى مشتبه فيه .

صمت (كارل) لحظة ، ثم قال فى حزم :

— إنه قرش إذن يا (برودى) .. قرش مجرم كبير ، له أسنان رهيبة ، فحتى رفاص عابرة محيطات لا يمكنه تمزيق الجثة هكذا .

قال (برودى) فى توتر :

— قرش ؟! .. هل أنت واثق يا (كارل) ؟

أجابه (كارل) فى حزم :

— سأذكر هذا فى تقريرى الرسمى ، ما لم تكن لديك شكوك أخرى .

قال (برودى) فى شرود :

— لا يا (كارل) .. اكتب ما تراه مناسبًا .

وانهى الاتصال وهو يشعر بتوتر بالغ ..

.. إنه أكثر من يدرك مدى حساسية الأمر ، فى مثل هذا

الوقت من العام ، فهو الآن فى بداية الصيف ، وكل سكان (أميتى) ، البالغ عددهم ألف شخص ، يعتمدون فى معيشتهم طيلة العام ، على أشهر الصيف الثلاثة ، حيث يفد ما يقرب من تسعة آلاف مصطاف إلى البلدة ، فينعشون التجار ، من أصحاب محال الأجهزة والأدوات الرياضية ، ومحطتى الوقود ، والصيدلية ، وإلا فما استطاعوا مواجهة الشتاء ، أو حتى توفير الطعام لعائلاتهم ، وصيف واحد سيئ يحطمُ هذه البلدة الصغيرة ، ويضاعف من عدد العائلات المطالبة بالإعانات الاجتماعية ، بل قد يضطر بعض أصحاب المتاجر إلى إغلاق متاجرهم ، والرحيل إلى بلدة أخرى ، بحثا عن عمل .

باختصار صيف واحد فاشل يكفى لهجر (أميتى) كلها ، وتحويلها إلى مدينة أشباح ..

و (برودى) يدرك هذا جيِّدا ، وكذلك يدركه (هارى ميدوز) ، رئيس تحرير الجريدة المحلية (أميتى ليدر) ؛ لذا فإنهما يتعاونان ، (برودى) و (ميدوز) ، لمنع أية عوامل قد تتسبَّب فى فشل أى موسم صيفى ، ولو قام بعض شبان المصطافين بأعمال شغب فى المدينة مثلًا ، فإن (برودى) يمنح

(ميدوز) كل التفاصيل ، لينشرها فى جريدته ، مع ذكر الأسماء والأعمار ، أما لو قام بالشغب بعض شباب (أميتى) ، فالخبر يكون فى العادة مقتضبًا ، بدون ذكر أسماء أو أعمار أو عناوين ، مكتفيًا بالإشارة إلى أن شرطة (أميتى) قد تدخلت لإنهاء مشكلة بسيطة فى شارع كذا ..

.. حتى سرقات المنازل فى فترة الشتاء كان (ميدوز) يتجاهل نشرها ، حتى لا يترك انطباعًا سيئًا لدى المصطافين ، يمنعهم من قضاء الصيف التالى فى (أميتى) ، ويترك الأمر كله لـ (برودى) ، لحله بوسائله الخاصة ..

.. ولكن هذه المرة كان الأمر يختلف ..

.. كانت هناك سمكة قرش فى الجوار ، تذوّقت طعم اللحم البشرى ، وهو لا يدرك إذا ما كانت ستستمرئ هذا ، كما يحدث مع النمور ، أم لا ، إلا أنه يدرك تمامًا ضرورة إغلاق الشاطئ لمدة يومين ، لمنع القرش من افتراس آخرين ، ومنحه فرصة الابتعاد عن شاطئ (أميتى) قبل أن يبدأ الموسم الصيفى فعليًا ..

.. وفى هذه المرة كان يرغب فى نشر الأمر ..

.. وكان يعلم أن الأمر لن يكون أبدًا هيّنًا ، فكل

الشواهد ــ حتى الآن ــ تشير إلى صيف ضعيف ، بالقياس إلى المواسم السابقة ، فمازالت هناك عدة منازل لم تؤجّر بعد ، وخبر ظهور سمكة قرش مفترسة سيزيد الأمر سوءًا .. بل قد يؤدى إلى كارثة ..

.. ولكنه لم يكن يستطيع تجاهل واجبه ، والمخاطرة بعدد من الأرواح البريئة ، لمجرّد ظنه أن وفاة فى منتصف يونيو يُمكن نسيانها بسرعة ..

.. إنه لن يقامر بأرواح الآخرين ..

.. وبسرعة حسم أمره ، ورفع سمّاعة الهاتف ، وطلب رقم (ميدوز) ، ولم يكد يسمع صوت هذا الأخير ، حتى قال :

ــ (ميدوز) .. هل يمكننا تناول الطعام معًا ؟

أجابه (ميدوز) :

ــ بالطبع .. إننى أنتظر مكالمتك .. قل لى : هل تحضر إلى مكتبى ، أم أحضر أنا إلى مكتبك ؟

قال (برودى) فى حزم :

ــ سأحضر أنا إلى مكتبك .

اتصل بزوجته ، وأخبرها أنه سيتناول الطعام فى الخارج ،

ثم اتجه على الفور إلى مكتب (هارى ميدوز) ، وعندما بلغه ، كان (ميدوز) يقف بجسمه الضخم إلى جوار النافذة ، يدخن ذلك السيجار الرخيص ، الذى اعتاد تدخينه ، فالتفت إلى (برودى) ، وقال فى مرح طبيعى :

— ارفع هذه الأوراق عن المقعد ، واجلس .

جلس (برودى) على المقعد المقابل لمكتب (ميدوز) ، الذى اخرج عددًا من الشطائر ، راح يلتهم إحداها فى استمتاع ، وهو يقدّم أخرى لـ (برودى) ، الذى التهم شطيرته فى بطء ، وهو يقاوم احتجاج معدته ، ثم قال :

— لا ريب أنك سمعت بأمر مصرع (كريس) ، ولقد تحدّثت مع (كارل) ، و ...

قاطعه (ميدوز) :

— وأنا أيضًا .

تجاهل (برودى) هذه المقاطعة ، وتابع :

— إنه يظن أن هذا يعود إلى سمكة قرش ، ولو أنك رأيت الجثة مثلى لوافقته على هذا الرأى .

قال (ميدوز) ، وهو يتناول شطيرته الرابعة فى تلذذ :

— لقد رأيتها .

حدّق (برودى) فى شطيرة (ميدوز) فى دهشة ، فلم يكن يتصوَّر أبدًا أن شخصًا رأى جثة (كريس) ، يمكنه أن يأكل بهذا النهم ، إلا أنه أجبر نفسه على تجاهل هذا ، وهو يقول :

— إذن فأنت توافقنى .

أجابه (ميدوز) فى بساطة ، وهو يلتهم بقايا شطيرته الرابعة :

— بالطبع ، ولكن هناك عدة أشياء تثير الريبة .

— مثل ماذا ؟

— درجة برودة الماء ، عند منتصف الليل مثلًا ، فمن الضرورى أن تفقد عقلك ، قبل أن تسبح فى ذلك الوقت .

— أو أن تكون مخمورًا .. وهذا هو الأرجح .

— ربّما .. لقد تحرّيت عن (فوت) على أية حال ، وهو لا يتاجر فى المخدرات ، ولا شأن له بها حتمًا .

ونفض كفيه عن بقايا شطيرته ، وهو يميل نحو (برودى) ، مستطردًا :

— ولكنّ هناك أمرًا آخر يثير حيرتى .

قال (برودى) فى ضيق :

— لا تهتم كثيرًا فى الأمر يا (ميدوز) ، فمن الطبيعى أن يلقى البعض حتفهم غرقًا .

لوّح (ميدوز) بكفه ، وقال :

— لم أقصد هذا ، ولكن يدهشنى أن يأتينا قرش ، والماء على هذه الدرجة من البرودة .

هزّ (برودى) كتفيه ، وقال :

ربما هناك قروش تحب الماء البارد .. من يدرى ؟

أجابه (ميدوز) :

— هناك من يعرفون الكثير عن القروش ، وهناك مثلًا قرش (جرينلاند) ، الذى يعشق المياه الباردة ، ولكنه لا يأتى إلى هنا قط ، ثم إنه لا يهاجم البشر .. هل تعلم ؟.. لقد عرفت الكثير عن القروش منذ الصباح ، ولم أكد أرى ما تبقى من (كريس) ، حتى اتصلت بشاب أعرفه ، يعمل بمعهد (وودز هول) لعلوم المحيطات ، ووصفت له الجثة بدقة ، فأكد لى أن نوعًا واحدًا من القروش يمكنه فعل هذا ، وهو القرش الأبيض الضخم .. هناك أنواع أخرى تهاجم البشر ، مثل قرش النمر ، ورأس المطرقة ، والماكوس ، والقرش الأزرق ، ولكن ذلك الشاب (مات هوبر) أخبرنى أن

القرش الوحيد ، الذى يمكنه أن يبلغ الحجم الكافى ، لقطع إمرأة ناضجة إلى نصفين ، هو القرش الأبيض الضخم ، أو كما يطلقون عليه (قاتل البشر) .. ثم إنه من الممكن أن يأتى القرش الأبيض الضخم إلى المياه الباردة .

أشعل (برودى) سيجارته ، والتقط منها نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

— يبدو أنك قد بحثت الأمر جيدًا يا (ميدوز) .

أجابه (ميدوز) ، وهو يلتقط من المبرِّد علبة بيرة كبيرة :

— كان من الضرورى أن أعرف جيدًا ما حدث ، وأن أعرف كذلك احتمالات حدوثه .

سأله (برودى) فى اهتمام :

— وهل عرفت ؟

أومأ (ميدوز) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم .. ففرصة حدوث هذا مستحيلة تقريبًا ، فـ (هوبر) يقول إن أفضل ما فى القرش الأبيض هو ندرته ، ومادامت لا توجد هنا مصانع تعليب أسماك ، أو مذابح تلقى الدماء والأحشاء فى البحر ، فلن يبقى القرش طويلًا ، ولا ريب أنه قد رحل الآن .

ثم رمق (برودى) بنظرة خاصة ، وهو يستطرد :

— ولهذا فلا داعى لإقلاق الناس ، بسبب أمر لن يتكررْ .

نفث (برودى) دخان سيجارته ، وقال :

— إنها وجهة نظرك يا (هارى) ، أما أنا فأرى أنه لا ضرر فى إعلام الناس بما حدث بالفعل .

تنهّد (ميدوز) ، وقال :

— هذا صحيح من الناحية الصحفية ، ولكن ماذا عن مصلحة أهل البلدة ؟.. إنهم سيعلمون ما حدث بالطبع ، ولكن ماذا عن المصطافين ؟.. أنت تعلم موقف الإيجارات هذا العام ، ولو نشرنا ما حدث ، فقل على الموسم السلام .

أومأ (برودى) برأسه ، وقال :

— أنا مثلك يا (هارى) ، لا أرغب فى إشاعة الرعب فى المصيف ، ولكن هناك احتمال ، ولو واحد فى المائة ، أن نكون على خطأ ، ولا يمكننا مواجهة هذا الاحتمال ، على الرغم من ضآلته ، فلو أننا تكتّمنا الأمر ، ثم هاجم القرش شخصًا آخر ، فلن نسامح أنفسنا أبدًا ، ثم إن واجبى هو حماية الناس ، ولو عجزت عن هذا فمهمتى هى تحذيرهم على الأقل ، وهذا واجبك أيضًا .. والواقع يا (هارى) أننى أريد نشر الخبر ؛

لأننى أريد إغلاق الشاطئ لمدة يومين فحسب ، وهذا أفضل ما نفعله ، فلم يفد المصطافون بعد ، وما زال الماء باردًا ، و ...

قاطعه (ميدوز) :

— لا يمكننى التدخل فى عملك بالطبع يا (برودى) ، ولكننى اتخذت قرارى بالفعل ، فى الجزء الخاص بى .

— ماذا تعنى بهذا ؟

— أعنى أنه لن تكون هناك أية قصص ، عن حادث (كريس) .

— هكذا .. بكل بساطة ؟!

— لم يكن ذلك قرارى وحدى يا (مارتن) ، وإن كنت أوافق عليه ، صحيح أننى رئيس تحرير هذه الجريدة ، وأملك جزءًا منها ، إلا أنه لا يكفى لمواجهة الضغوط .

عقد (برودى) حاجبيه ، وهو يسأله :

— أية ضغوط ؟

أطلق (ميدوز) زفرة من أعماق قلبه ، وأجاب :

— لقد تلقّيت ست مكالمات هاتفية هذا الصباح ، من خمسة من كبار المعلنين فى الجريدة .. صاحب مطعم ، وفندق ، واثنين من شركات السمسرة ، ومتجر لبيع (الأيس

كريم) ، وكلهم قلقون من أمر النشر هذا ، ولقد اتفقوا جميعًا على أنه ليس من مصلحة (أميتى) أن ننشر هذا .. ثم إن المكالمة السادسة كانت من مستر (كولمان) فى (نيويورك) ، وهو يمتلك خمسة وخمسين فى المائة من أسهم (ليدر) ، وقال إن أخبار ما حدث قد بلغته ، وهو يأمرنى بعدم النشر .

صمت (برودى) لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ فليكن يا (هارى) .. لا تنشر شيئًا عن الحادث ، أما أنا فسأغلق الشواطىء ، وأضع بعض اللافتات التى توضح السبب .

هزّ (ميدوز) رأسه ، وقال :

ـ أنت حر فى قرارك يا (مارتن) ، ولكن تذكَّر أنك تحتلّ هذه الوظيفة بالانتخاب ، ومدة احتلالك لها لا تزيد على أربعة أعوام ، مثل رئيس الجمهورية ، و ...

قاطعه (برودى) فى غضب :

ـ هل هذا تهديد يا (هارى) ؟

ابتسم (ميدوز) ، وقال :

ـ أنت تعلم أنه ليس كذلك ، ولكننى أريد منك أن تدرك ما ستفعله ، قبل أن تعبث بشريان حياة هؤلاء الذين انتخبوك .

كان بقوله هذا يضرب على الوتر الحساس فى أعماق (برودى) ..

.. وتر الخوف ..

* * *

لم تمض عشر دقائق على وصول (برودى) إلى مكتبه ، حتى حمل إليه جهاز الاتصال الداخلى صوت أحد رجاله ، وهو يقول :

ـ السيِّد المحافظ هنا لرؤيتك يا سيِّدى .

ابتسم (برودى) ، وقال :

ـ أدخل سعادته .

كان يعرف المحافظ (لارى فوجان) جيدًا ، فهو رجل وسيم ، رمادى الشعر ، يختلف مظهره كثيرًا عن مظهر الغالبية العظمى من سكان (أميتى) ، فهو أنيق ، رياضى القوام ، ثم إنه ثرى ، يمتلك واحدة من أكبر شركات سمسرة العقارات والمبانى فى (أميتى) ..

.. والواقع أن (برودى) كان يميل كثيرًا لـ (فوجان) ، على الرغم من أنه لا يراه كثيرًا ، ولكنه يذكر له دعواته له ولزوجته إلى عشاء فاخر ، فى نهاية كل موسم ، تسعد له كثيرًا زوجته (إلين) ..

ولهذا أحسن (برودى) استقبال (فوجان) فى حرارة ، ودعاه إلى الجلوس على المقعد المقابل لمكتبه ، ولقد بدا له (فوجان) شديد القلق ، وهو يسأله :

ــ من أين لك سلطة إغلاق الشواطىء ؟

هزّ (برودى) كتفيه ، وقال :

ــ لست متأكّدًا من أننى أحوز هذه السلطة بالفعل ، ولكن القانون يقول : إننى أستطيع اتخاذ أية إجراءات ، أرى أنها ضرورية ، فى حالة الطوارئ ، وهذا يحتم أن يعلن المجلس المنتخب حالة الطوارئ أوّلًا .. أليس كذلك ؟، وهذا يعنى أن مسئوليتى الفعلية هى الحفاظ على سلامة الناس هنا ، بغض النظر عن التعقيدات الإدارية ، وأنا أرى ضرورة إغلاق الشاطئ لمدة يومين .

قال (فوجان) فى عصبية :

ــ ولكن هذا مستحيل .. سيكون هذا كما لو أننا نشنق أنفسنا .

تطلّع إليه (برودى) لحظات فى صمت ، ثم قال فى حسم :

ــ أعرف ما تقصده ، وأنا أيضًا لا أريد إغلاق الشاطئ

فى بداية الموسم ، ولكنك لا ترغب فى أن يلقى آخرون مصرعهم .. أليس كذلك ؟

لوّح (فوجان) بذراعه ، هاتفًا :

ــ لن يلقى أحد مصرعه ، وكل ما سيفعله إغلاق الشواطئ هو أن يجذب إلينا عشرات من محررى الصحف ، فى محاولة لمعرفة سبب ما حدث .

قال (برودى) فى توتر :

ــ حتى لو حضروا فلن يجدوا ما يكتبونه ، وسيكون هذا خير دعاية لنا .

هتف (فوجان) :

ــ وماذا لو وجدوا شيئًا ؟

ثم حاول السيطرة على أعصابه ، وهو يستطرد :

ــ اسمع يا (مارتن) .. لو أنك ترفض الاستماع إلى صوت العقل ، فلتستمع إلىّ كصديق .. إننى أواجه ضغوطًا ضخمة ، وعمل ليس سهلًا ، بل يزخر بالمتاعب والتعقيدات ، فافعل ما أطلبه منك مرة واحدة فقط ، وسأعتبر ذلك جميلًا لا يُنسى .

تطلّع إليه (برودى) لحظات ، محاولًا استشفاف

ما يحتمل فى أعماقه ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

ــ معذرة يا (فوجان) .. لا يمكننى هذا ، وإلا فسأكون قد أهملت وظيفتى ..

قال (فوجان) فى عصبية :

ــ ولو لم تفعله فلن تكون لديك وظيفة قريبًا .

صمت (برودى) لحظة ، ثم قال :

ــ لا أظنك تملك سلطة فصل أى شرطى من عمله .

قال (فوجان) فى حدة :

ــ سترى أننى أستطيع ، فميثاق مدينة (أميتى) يمنح المجلس المنتخب سلطة إقالتك .

قالها وهو يخرج من جيبه الميثاق ، فقرأ (برودى) الفقرة التى أشار إليها ، ثم اعتدل قائلًا :

ــ يبدو أنك لم تنتبه إلى تلك الفقرة جيدًا يا (فوجان) ، فهى تحتم وجود سبب وجيه لفصلى .

قال (فوجان) متوترًا :

ــ لست أحب أن نبلغ هذا القدر يا (مارتن) ، بل إننى لم أتصور أن يبلغ بنا النقاش هذه الدرجة ، بل ظننت أنك ستوافق ، فور معرفتك أن هذه رغبتى ، ورغبة المجلس المنتخب .

ــ كله ؟

ــ الأغلبية على الأقل .

ــ مثل من ؟!

ــ لن أخبرك الأسماء ، ولكن يكفى أن تعلم أن المجلس يساندنى ، وهو مستعد لإقالتك ، ووضع آخر مكانك .

لم يسبق لـ (برودى) أبدًا أن رأى (فوجان) بهذا الوجه العدوانى القبيح ، ولقد أدهشه ذلك حقًا ، ولكنه قال لى هدوء :

ــ أهذا ما تريده حقًا يا (فوجان) ؟

شعر (فوجان) برائحة الظفر ، فقال فى حماس :

ــ نعم يا (مارتن) ، وثق أنك لن تندم على هذا أبدًا .

هزَّ (برودى) رأسه ، وقال :

ــ فليكن .. صحيح أن الأمر لا يروق لى ، ولكنه رأى الجميع .

ابتسم (فوجان) فى ارتياح ، وهو ينهض لمغادرة المكتب ، قائلًا :

ــ شكرًا يا (مارتن) .. لن ننسى لك هذا أبدًا .

سأله (برودى) :

ــ وماذا عن (فوت) وضيوفه ؟

لوّح (فوجان) بكفه ، قائلًا :

ــ سأقنعهم بالنظر إلى المصلحة العامة ، فهى مصلحتهم أيضًا .. أليس كذلك ؟ المصلحة العامة ؟!..

.. لم يدرك (برودى) ما الذى يقصده الجميع بالمصلحة العامة ، حتى وهو يجلس فى مطبخ منزله ، يراقب زوجته (إلين) ، التى عادت من عملها بالمستشفى على التو ، وراحت تعدّ بعض اللحم المفروم للعشاء ، ثم لم يلبث أن سألها فى اهتمام :

ــ هل بلغتك أخبار مصرع (كريس) ؟

أجابته فى أسف :

ــ نعم ، ولكنها أوّل مرة يحدث فيها هذا فى المنطقة .. ولكن ماذا تنوى أن تفعل ؟

قال فى ضيق :

ــ لا شىء .

سألته فى دهشة :

ــ حقًا ؟.. ألا يوجد ما يمكن أن تفعله ؟

هزّ رأسه مجيبًا :

ــ يوجد الكثير من الناحية النظرية ، ولكن الجميع يرفضون اتخاذ أية إجراءات ، ويؤكدون أن شيئًا لن يحدث ، حتى (لارى فوجان) .

هزّت كتفيها ، وقالت :

ــ ربما كانوا على حق ، فـ (لارى) بعيد النظر ، ولا ريب أنه يعرف القرار الأفضل ، فى مثل هذه الظروف .

مطّ شفتيه فى ضيق ، وغمغم :

ــ ربما .

ولكنه كان يشعر فى أعماقه أن الكارثة قادمة ، وكان هذا إحساسه ..

.. أو هى نبوءته .

* * *

٣ ـ الهجوم المفترس ..

ظلت الأمور هادئة صافية ، طوال الأيام التالية ، وارتفعت الحرارة بعض الشيء ، وهبّ النسيم اللطيف من الجنوب الغربي ، فداعب أمواج البحر الناعمة ، وبدأت أفواج المصيفين تفد إلى (أميتي) ، في يوم الأحد ، العشرين من يونيو ، حيث حصلت المدارس الخاصة في (نيويورك) على إجازاتها الصيفية ، وبدأت عقود المستأجرين ، الذين يحتلون المصيف من منتصف يونيو ، وحتى منتصف سبتمبر ، من كل عام ، وامتلأت شوارع (أميتي) بالنـــاس ، وازدحمت شواطئها بالبشر ، وأعلن الصيف قدومه فوق أجسام موفورة الصحة ، لطبقة من الأثرياء ، الذين تحمد عليهم (أميتي) في معيشتها ، حتى العام التالي ..

.. وراح الأطفال يلعبون ويلهون فوق الرمال ، على حافة البحر ، يبنون القلاع ، ويتسابقون في مرح وسعادة ..

.. ومن بين هؤلاء الأطفال كان هناك طفل في السادسة من

عمره ، راح يلقي ما جمعه من أصداف في الماء ، قبل أن يتجه إلى أمه ، ويرقد إلى جوارها على الرمال ، مغمغمًا :

ـ ماما .. هل أنت نائمة ؟

أجابته أمه ، وهي تحجب الشمس بيدها عن عينيها :

ـ لا يا صغيري ، ماذا تريد ؟

ـ أشعر بالملل .

ـ كيف يمكنك أن تشعر بالملل ، ولم نبلغ حتى شهر يوليو ؟

ـ إنني أشعر بالملل فحسب ، ولا أجد ما أفعله .

ـ أمامك الشاطيء كله لتلعب فوقه .

ـ أعلم هذا ، وعلى الرغم منه أشعر بالملل .

ـ لماذا لا تلعب بالكرة ؟

ـ مع من ؟.. لا يوجد أحد هنا .

ـ الشاطيء يزدحم بالناس .. ابحث عن (هاريس) ، أو (تومي) .

ـ إنهما ليسا هنا .. لا أحد هنا ، وأنا أشعر بالملل .. هل يمكنني السباحة ؟

ـ لا يا (أليكس) .. الماء مازال باردًا .

— كيف تعرفين هذا ؟
— إننى أعرف فحسب ، ولا يمكنك الذهاب وحدك .
— هل تأتين معى ؟
— فى الماء ؟.. لا بالطبع .
— أريدك أن تراقبينى على الشاطئ فحسب .
— (أليكس) .. ماما متعبة .. ألا يمكنك أن تجد شيئًا آخر تفعله ؟

تنهّد الصغير فى يأس ، وقال :
— هل يمكننى أن استخدم المرتبة المطاطية ؟.. لن أتعمق ، ولن أسبح .. فقط سأرقد فوقها .

اعتدلت الأم فى ضجر ، وألقت نظرة على السبّاحين ، الذين وقفوا على مسافات بعيدة من الشاطئ ، والماء يبلغ خصورهم فحسب ، فى حين قال ابنها فى حزن :
— لو أن أبى هنا لسمح لى بذلك .

قالت فى صرامة :
— (أليكس) .. ليست هذه هى الطريقة ، التى ستجعلنى أوافق على ما تريد .

ثم تنهّدت وأضافت :

— ولكن لا بأس .. خذ المرتبة المطاطية ، ولكن لا تسبح ، ولا تتعمق كثيرًا .

هتف فى سعادة :
— أوافق .

وأسرع يحمل المرتبة المطاطية ، ودفعها فوق سطح البحر ، ثم ألقى جسده فوقها فى سعادة ، وراح يضرب الماء بيديه من الناحيتين ، وهو يسبح موازيًا للشاطئ ..

.. أو أنه كان يظن هذا ..

.. لقد راح تيار خفيف يجذبه تدريجيًا إلى الداخل ، بعيدًا عن الشاطئ ، إلى منطقة انحدار مفاجئ ، يبلغ عمقها ما بين خمسة عشر إلى عشرين مترًا ..

.. وهناك كانت السمكة العملاقة تسبح تحت السطح ، وذيلها يتموّج فى ليونة ، وعيناها تبحثان وسط ظلام القاع عن طعام ..

.. وفجأة شعرت بالذبذبات ..

.. كان الطفل راقدًا فوق المرتبة المطاطية يحرّك ذراعيه فى بطء ، ويضرب الماء بقدميه فى قوة ، وهو يتطلّع فى سعادة إلى أمه ، التى بدت أقرب إلى النائمة ، وهى ترقد فوق منشفتها ،



وهنا انقضت السمكة المخيفة ، وانفتح الفكان عن آخرهما ، و ...
.. وانتهى الأمر بغتة ..

ثم لم يلبث أن انتبه إلى أنه يبتعد عن الشاطىء ، وخشى أن تنتبه أمه أيضًا إلى هذا ، فتأمره بالعودة إلى الشاطىء ، لذا فقد زاد من سرعته ، فى محاولة لبلوغ الشاطىء ، قبل أن تنتبه أمه ..

.. وارتفعت السمكة الرهيبة نحو مصدر الذبذبات ، وشعرت بمزيد من الضوء ، وهى ترتفع ، وزادت من سرعتها تدريجيًا ، مع ازدياد سرعة وقوة الذبذبات ..

.. ثم توقف الطفل عن التجديف بقدميه ، بعد أن أرهقه التعب ، وترك ذراعيه يسترخيان على جانبى المرتبة المطاطية ، فتوقفت الذبذبة ، وارتبكت السمكة الهائلة ، فتوقفت ، وراحت تدير رأسها فى كل مكان ، بحثًا عن مصدر الذبذبات ، حتى عاد الطفل إلى ضرب الماء بذراعيه وقدميه مرة أخرى ..

.. وهنا انقضت السمكة المخيفة ، وانفتح الفكان عن آخرهما ، و ....

.. وانتهى الأمر بغتة ..

.. ثم غاصت السمكة فى الماء بسرعة ، كما ظهرت فوقه ، حتى أن أحدًا لم ينتبه إلى ما حدث ، فيما عدا رجلا كان يداعب ابنه فى الماء ، ولمح ما حدث بطرف عينه ، فالتفت إليه فى

سرعة ، ولكنه لم ير سوى منطقة اضطراب وأمواج على هيئة دائرة ، مما جعله يهتف فى قلق :

— هل رأيت هذا ؟!.. هل رأيت هذا ؟

سأله ابنه فى حيرة ، وهو ينظر إلى نفس النقطة ، التى ينظر إليها هو :

— ماذا يا أبى ؟.. رأيت ماذا ؟

بدا الرجل شديد التوتر ، وهو يلوّح بذراعيه ، قائلاً :

— هناك قرش .. أو حوت .. أو شىء ما .. شىء ضخم هائل .

التقطت أذنا أم الطفل تلك العبارة ، وفتحت عينيها لترى الرجل وابنه يعدوان نحو الشاطىء ، فاعتدلت تتساءل عما حدث ، ثم لم تلبث أن تذكّرت ابنها ، فقفزت ببصرها إلى البحر ، واتسعت عيناها فى رعب ، وصرخت :

— أليكس .

وكان هذا يكفى ..

* * *

ارتفع رنين الهاتف ، فى منزل (برودى) ، فهتفت زوجته (إلين) :

— سأجيب أنا .

قالتها دون أن تخطو خطوة واحدة نحو الهاتف كعادتها ، فنهض هو من مقعده ، والتقط سمّاعة الهاتف ، وقال :

— هنا الرئيس (برودى) .

أتاه صوت أحد رجاله ، يقول فى توتر واضح :

— أنا (بيكسبى) يا سيّدى .. أظن أنه من الضرورى أن تحضر إلى القسم على الفور .

سأله (برودى) فى قلق :

— لماذا يا (بيكسبى) ؟

تردّد (بيكسبى) ، على نحو يوحى أنه يُفضّل عدم الحديث هاتفيًا ، وقال :

— هنا امرأة .. فى حالة هستيرية .

عاد (برودى) يتساءل ، وقد تضاعف قلقه :

— حالة هستيرية ؟!.. لماذا ؟

تردّد (بيكسبى) مرة أخرى ، قبل أن يجب :

— طفلها .. إنه .. أعنى هناك .. على الشاطىء ..

لم يكن (برودى) يحتاج إلى أن يكمل (بيكسبى) حديثه ، فقد عاودته آلام معدته اللعينة ، لتعلن له السبب ،

وامتلأت نفسه بمرارة لا حدّ لها ، وهو يلقى اللوم على نفسه ، وعلى (لارى فوجان) والمجلس اللعين ..

.. لقد أراد اتخاذ الإجراءات اللازمة ، وكان ينبغى أن يتجاهل ضغوطهم ، وأن يقوم بواجبه ، على الرغم من كل شىء ..

.. ولكنه إنسان ضعيف .. غشاش .. مخدوع ..

.. وسألته (إلين) ، وهو ينهى المحادثة :

ــ ماذا حدث ؟

أجابها فى مرارة :

ــ لقد لقى طفل مصرعه .. تلك السمكة الملعونة التهمت ضحية أخرى .

هتفت (إلين) فى هلع :

ــ يا إلهى !.. لو كنت قد أغلقت الشاطئ ، لما ..

انتبهت فجأة إلى وقع ما ستقول عليه ، فبترت عبارتها على الفور ، إلا أنه أدرك ما تقصده ، فغمغم فى مرارة :

ــ أعلم هذا .

قالها وانطلق إلى القسم على الفور ، ولم يكد يبلغ موقف السيارات الخاص خلفه ، حتى وجد (هارى ميدوز) هناك ،

ولقد فتح (ميدوز) باب سيارته ، وجلس إلى جواره ، وهو يقول :

ــ حظ سيىء .. هل تعلم من بالداخل ؟.. رجل من (التايمز) ، واثنان من (نيوزداى) ، وواحد من رجالى ، وأم الطفل ، والرجل الذى يقول إنه قد شاهد الحادث .

سأله (برودى) فى توتر :

ــ وكيف وصل رجل الصحافة بهذه السرعة ؟

هزّ (ميدوز) رأسه ، وقال :

ــ سوء الحظ ، كما قلت لك .. لقد كان رجل (التايمز) على الشاطئ ، وكذلك رجلا (نيوزداى) ، فقد كانا ضيفين على بعض المصطافين ، فى عطلة نهاية الأسبوع ، وعرفا الحادث خلال دقيقتين .

تنهّد (برودى) فى استسلام ، وغمغم :

ــ ومتى حدث هذا ؟

تطلّع (ميدوز) إلى ساعته ، وقال :

ــ منذ خمس عشرة أو عشرين دقيقة لا أكثر .

سأله (برودى) :

ــ هل يعلمون شيئًا عن موضوع (كريس) ؟

هزّ (ميدوز) كتفيه ، وقال :

ــ لست أدرى .. مساعدى يعلم ، ولكنه لن يتكلّم ، أما الآخرين فلست أظن الوقت يكفى ليعرفوا شيئًا عن هذا .

غمغم (برودى) :

ــ سيعلمون إن عاجلًا أو آجلًا .

تنهّد (ميدوز) ، وقال :

ــ سيضعنى هذا فى موقف حرج .

ــ أنت ؟! لا تضحكنى يا (ميدوز) .

ــ إننى جاد يا (مارتن) ، فلو عرف الآخرون بالقصة ستظهر (الليدر) بشكل سيئ .. أظننى مضطر لنشر قصة (كريس) ؛ لحماية نفسى .

ــ وماذا ستقول عنها ؟.. أعنى كيف ستبرّر عدم النشر ؟

ــ لست أدرى بعد .

ــ هل ستشير إلى (لارى فوجان) ؟

ــ لن يمكننى هذا .

ــ وماذا عنى ؟

ــ لن أحملك المسئولية بالطبع ، بل سأتصل بـ (كارل) ، وسنحاول تدبير الأمر ، و ...

ــ وماذا عن الحقيقة ؟

ــ الحقيقة ؟!.. ماذا تعنى ؟

ــ أعنى لماذا لا تذكر ما حدث بالفعل ؟.. لماذا لا تقول : إننى أردت إغلاق الشاطىء وتحذير الناس ، ولكن المجلس لم يوافق ؟.. قل لهم : إننى جبان رعديد ، لم أشأ المغامرة بوظيفتى ، والقيام بواجبى كما ينبغى .. قل لهم : إن كل أصحاب النفوذ فى (أميتى) قد تضافروا لمنع نشر الخبر ، بحجة عدم إزعاج الناس بوجود سمكة قرش فى الماء ، تحب التهام الأطفال .

ربّت (ميدوز) على كتفه ، وقال فى خفوت :

ــ لا تنهر يا (مارتن) .. إنه لن يكن خطأ أحد منا بالتأكيد .. لقد اتخذنا قرارنا ، وقامرنا ، وخسرنا .. هذا كل شىء .

قال (برودى) فى عصبية :

ــ عظيم .. هل تحب أن أذهب الآن إلى أم الطفل ، وأعتذر لها بلباقة ، على أننا لم نحسن استخدام ابنها كقطعة من النرد .

وغادر السيارة فى غضب ، وترك (ميدوز) يحاول انتزاع

جسده الضخم منها ، ثم يسرع الخطا خلفه ، ثم توقف فجأة ، والتفت إليه ، قائلًا فى حدة :

— هل تعلم ما الذى أريد معرفته بالفعل يا (هارى) ؟.. أريد معرفة صاحب القرار الحقيقى .. لقد خضعت أنا وأنت للقرار ، وأعتقد أن (لارى فوجان) قد خضع له أيضًا .

— ولماذا تعتقد هذا ؟

— لدى أسبابى .. قل لى : هل تعرف شيئًا عن شركاء (فوجان) فى العمل ؟

— إننا نعتقد أنه ليس له شركاء حقيقيون .

— أشك فى هذا .. ولكن دعنا من هذه الفكرة الآن .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

— أظن أنه من الأفضل أن تدخل من الباب الأمامى يا (هارى) .. حفاظًا على المظاهر .

ودخل هو مكتبه من باب جانبى ، ووقع بصره على أم الطفل ، التى تجلس أمام المكتب ، ممسكة منديلًا فى يدها ، ومرتدية روبًا قصيرًا فوق ثوب الاستحمام ، وحافية القدمين ..

.. وشعر (برودى) بعقدة ذنب هائلة ، وهو يتطلع

إليها ، ثم لم يلبث أن قدم نفسه إليها فى خفوت ، ثم راح يلقى عليها الأسئلة التقليدية ..

.. وأجابته السيِّدة بأنها لم تر شيئًا ، ولكنها لم تعثر على طفلها فى البحر أو خارجه ، وإنما عثرت على بقايا ممزقة لمرتبته المطاطية ، ثم جاء الرجل الذى شاهد ما حدث ، ووصف ما ظن أنه شاهده ، حتى سأله (برودى) على نحو مباشر :

— إذن فأنت لم تر ذلك القرش فى وضوح .

تردَّد الرجل ، وهو يقول :

— لا .. لست واثقًا من هذا .. ولكن ماذا يمكن أن يكون ما حدث ؟

وفى روتينية ، أجاب (برودى) :

— هناك احتمالات كثيرة ، كأن يخرج الهواء من المرتبة المطاطية ، فيغرق الصبى ، أو ..

كان يعلم أنه يخدع نفسه قبل أن يخدعهم ؛ لذا فقد جاءت عبارته متخاذلة ، وأسعده أن قاطعته الأم هاتفة :

— ولكن (أليكس) يسبح جيِّدًا .

وقال الشاهد :

— وماذا عن الصخب الذى أصاب سطح الماء ؟

عاد (برودى) يقول فى تخاذل :

ــ ربما فعل الطفل هذا ، وهو يغرق .

قالت أم الطفل فى حدة :

ــ دون أن يصرخ طالبًا النجدة ، أو يطلق حتى صيحة واحدة؟!

كان رأيها منطقيًا تمامًا ، فغمغم (برودى) :

ــ سنكشف ما حدث على أية حال .

سأله الرجل :

ــ ماذا تعنى ؟

أجاب بسرعة :

ــ الذين يغرقون فى البحر يلفظهم البحر على الشاطىء ، و ...

بتر عبارته على الفور ، عندما رأى ذلك الذعر ، الذى ارتسم على وجه الأم ، فتمتم وهو يلعن غباءه :

ــ إننى آسف .

ولكن المرأة انخرطت فجأة فى بكاء حاد ، زاد من شعوره بالذنب والمرارة ، فترك المرأة والرجل فى مكتبه ، وخرج إلى القسم ، وهناك وجد (ميدوز) يستند إلى الحائط ، وهناك

شاب يرتدى ثوب بحر ، وفوقه قميص منقوش ، رجّح هو أنه مندوب (التايمز) ، كما كان هناك رجلان يجلسان على مقعد خشبى طويل ، وقد انهمكا فى الحديث ، فى حين وقف (نات) محررّ (الليدر) يتحدث مع (بيكسبى) ، ولم يكد الجميع يلمحون (برودى) حتى توقّفوا عن الحديث ، والتفتوا إليه ، فبادرهم قائلًا :

ــ ما الذى يمكننى أن أفعله لكم ؟

تقدم نحوه الشاب الوسيم ، وقال :

ــ أنا (بيل وايتمان) ، من (نيويورك تايمز) ، ولقد كنت على الشاطئ .

سأله (برودى) :

ــ وماذا رأيت ؟

أسرع أحد مراسلى (نيوزداى) يقول :

ــ لا شىء .. لقد كنت هناك ، ولم ير أحد شيئًا ، فيما عدا ذلك الرجل فى مكتبك .. هو وحده يقول : إنه قد رأى ما حدث .

قال (برودى) :

ــ ولكنه ليس واثقًا مما رأى .

اندفع مندوب (التايمز) يقول :

ــ هل أنت على استعداد للتصريح بأن سبب الحادث سمكة قرش ؟

هزّ (برودى) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لست مستعدًا للتصريح بشيء بعد ، وأقترح أن تحذو حذوى ، حتى نعرف الحقيقة .

قال الشاب فى سخرية :

ــ وماذا تقترح أن نقول ؟.. هل نشير إلى أنها حادثة اختفاء غامضة فى البحر ، مثلما يحدث فى مثلث (برمودا) مثلًا ؟

حاول (برودى) السيطرة على أعصابه ، وهو يقول :

ــ اسمع يا مستر (وايمان) .. إننا لا نملك أية أدلة ، والشاهد الوحيد يقول إنه رأى مجرّد اضطراب على سطح الماء ، ويظن أنه قد رأى شيئًا فضيًا كبيرًا ، ربما يكون سمكة قرش ، وهو لم ير فى حياته سمكة قرش حقيقية ، وهذا يعنى أن كل ما لدينا هو بلاغ عن طفل مفقود ، من الممكن أن يكون قد غرق ، أو اختطف ، ولكن ليس ...

بتر عبارته مع صرير إطارات سيارة تتوقّف خارج القسم فى

عنف ، ثم لم يلبث (هندريكس) أن اندفع إلى داخل القسم ، وهو يرتدى ثوب استحمام ، والماء ما يزال يقطر من جسده ، وهتف :

ــ سيّدى .. لقد وقع حادث آخر .

التفت إليه مندوب (التايمز) ، يسأله فى سرعة :

ــ ومتى وقع الحادث الأوّل ؟

لم يشأ (برودى) منح (هندريكس) فرصة للتفكير أو الجواب ، لذا فقد أسرع يقول :

ــ كنا نناقش أمر هذا الحادث الآن يا (ليونارد) ، ولست أحب أن تتسرّع أنت أو غيرك باستنتاج غير منطقى ، أو غيره ، فمن الممكن أن يكون الطفل قد غرق ، أو ...

قاطعه (هندريكس) فى انفعال شديد :

ــ طفل ؟!.. أى طفل يا سيّدى .. إنه رجل .. رجل لقى مصرعه منذ خمس دقائق فحسب ..

* * *

حدّق الجميع فى وجه (هندريكس) فى ذهول ، فى حين تملّك الانفعال الشديد هذا الأخير ، فراح يهتف مستطردًا :

ــ لقد كان أمرًا بشعًا ، رهيبًا .. كان ذلك المسكين

يسبح على مقربة من الشاطىء ، ثم أطلق صرخة عالية ، واختفى رأسه تحت الماء ، ثم برز مرة أخرى ، وهو يقول شيئًا مبهمًا ، وعاد يغوص فى الماء ، وراحت المياه تتناثر فى عنف ، ثم خرجت منها نافورة من الدم ، وأخذت تلك السمكة اللعينة تهاجم مرات ومرات ، ومرات .. يا إلهى !!.. إنها أضخم سمكة قرش رأيتها فى عمرى كله .. إن حجمها فى حجم سيارة نقل كبيرة .. لقد حاولت إنقاذ الرجل ، ولكن .. ولكن ..

راح يلهث ، أمام العيون المحدّقة فيه ، ثم هزّ رأسه فى مرارة ، متابعًا :

ـ لقد رحلت السمكة ، وتركت بقايا الرجل .. أقصد أشلاءه ، و ...

سأله (برودى) :

ـ هل استدعيت سيارة إسعاف ؟

هزّ (هندريكس) رأسه نفيًا ، فى حين قال مراسل (التايمز) فى حدة :

ـ سيارة إسعاف ؟!.. ألا يبدو هذا كمن يُغلق الحظيرة ، بعد رحيل الحصان ؟

التفت إليه (برودى) ، يقول فى خشونة :

ـ اغلق فمك من فضلك .. (بيكسبى) .. اطلب المستشفى ، وأنت يا (ليونارد) .. هل أنت فى حالة تسمح بالعمل ؟

هزّ (هيدريكس) رأسه إيجابًا ، فقال (برودى) :

ـ ارتد ملابسك إذن ، وابحث عن بعض اللافتات لإغلاق الشاطئ .. أظنك ستجد هذه اللافتات فى المخزن مع غيرها ، ولو لم تجدها فاصنع بعضها بأية طريقة ، المهم أن نُغلق تلك الشواطىء .. هل تفهم ؟.. هذا هو المهم .

كان قرارًا حكيمًا ، ولكن ..

.. بعد فوات الأوان .

* * *

٤ — الفضيحة ..

لم يكد (برودى) يصل إلى مكتبه ، فى السابعة من صباح الاثنين ، حتى سأل (هندريكس) عن صحف الصباح ، ثم جلس خلف مكتبه ، وأمسك عدد (نيويورك تايمز) فى اهتمام ، ورأى الخبر بحروف كبيرة إلى اليمين :

— « قرش يقتل ضحيتين فى (لونج أيلاند) .. من (ولیام — ف — وايتمان) ، مراسل (نيويورك تايمز) — (أميتى) — ٢٠ يونيو : قتل قرش طفلًا فى السادسة من عمره ، ورجلًا فى الخامسة والستين ، فى حادثين منفصلين ، يفصلهما أقل من الساعة الواحدة ، عند شاطىء مصيف (أميتى) ، وعلى الرغم من عدم العثور على جثة الطفل (ألكسندر كيتنز) ، فالمسئولون يؤكدون إن القرش قد قتله ، وهناك شاهد ، هو (توماس واجنر) من (نيويورك) ، يقول : إنه رأى شيئًا ضخمًا فضى اللون ، يبرز من الماء ، ويمسك الولد والمرتبة ، ويغوص بهما فى لحظة واحدة ، كما قال

(كارل سانتوس) ، مسئول التشريح فى (أميتى) ، إن آثار الدماء على المرتبة المطاطية تؤكد أن الطفل قد قُتِل ، أما بالنسبة للضحية الثانية (موريس كاتر) ، فقد كان هناك على الأقل خمسة عشر شاهدًا عند مصرعه ، على بعد نصف كيلو متر تقريبًا ، من مكان الحادث الأوَّل ، و.....

وراح المقال يصف ما حدث بالتفصيل ، ويضيف آراء علماء البحار ، حول ندرة وجود القرش بالقرب من مثل هذه الشواطىء ، وعن أنواع القروش ، ولكن المقال لم يشر — لحسن حظ (برودى) — إلى حادث (كريس) ، مما خفف من وقعه قليلًا عليه ، إلا أنه لم يكد ينتهى من قراءته ، حتى وجد (ميدوز) أمامه ، يسأله :

— هل قرأت المقال ؟

أزاح (برودى) المقال جانبًا ، وهو يقول :

— نعم .. انتهيت منه على التو .. إنهم لم يذكروا حادث (كريس) .

أجابه (ميدوز) :

— ولكن أنا فعلت .

ثم ناول (برودى) نسخة من جريدة (أميتى ليدر) ،

التى نشرت حادث (كريس) ، كإضافة إلى حادثى الشاطئ ، ثم أشارت إلى أن المسئولين فى المجلس المنتخب قرّروا إخفاء الأمر عن الناس ، من أجل الصالح العام ، وأضافت أن (برودى) أغلق الشاطىء ، بعد الحادثين الأخيرين ، وأنه لم يكن يجد جدوى فى إغلاقه قبل هذا ، وهنا هتف (برودى) فى غضب :

— ما هذا يا (هارى) ؟.. إنك بهذا تجعلنى مسئولاً عن عدم إغلاق الشواطىء منذ البداية ، على الرغم من معرفتك الحقيقة .

لوّح (ميدوز) بيده ، قائلاً :

— لم أجد غيرك ، فـ (فوجان) خارج المدينة ، ولا داعى لنشر غسيلنا القذر على الناس ، ثم اننى نشرت رأى (مات هوبر) ، خبير القروش ، الذى أكد استحالة حدوث هجوم آخر ، وهذا يقلّل من مسئوليتنا .

زفر (برودى) فى ضيق ، ثم سأله :

— وهل يظن (هوبر) هذا أن كل ذلك بفعل قرش واحد ؟

— إنه غير واثق ، ولكنه يرجّح كونه قرشًا واحدًا .

— أنا أيضًا أرجّح هذا ، فلقد اتصلت أمس بحراس الشواطىء فى (مونتوك) ، وسألتهم إذا ما كانوا قد لاحظوا وجود أية قروش ، فأكّدوا أنهم لم يروا قرشًا واحدًا فى منطقتهم ، ولكنهم وعدوا بإرسال قارب استطلاع ، فعدت للاتصال بهم بعد ساعتين ، وأكّدوا لى أنهم جابوا المنطقة كلها ، دون أن يروا قرشًا واحدًا ، ثم إن القروش التى قد تأتى إلى المنطقة صغيرة ، أو متوسطة الحجم ، لا تضايق الناس عادة ، ولكن القرش الذى رآه (ليونارد) ليس كذلك حتمًا .

— هذا صحيح ، ولهذا يقترح (هوبر) ألا نكتفى بإغلاق الشواطئ ، وإنما ينبغى أن نسعى لاصطياده أيضًا .

— بماذا ؟.. إننى لا أملك زورقًا للشرطة ، والصيادون المحترفون يتقاضون مائة وخمسين دولارًا فى اليوم على الأقل ، و ...

قاطعتهما ضجة خارج المكتب ، تعالى خلالها صوت (بيكسبى) بلهجة اعتراض ، أعقبه صوت امرأة غاضبة ، ثم اقتحمت امرأة المكتب بغتة ..

كانت أم الطفل (ألكسندر) ، وهى تمسك نسخة من صحيفة ما ، وظهر خلفها (بيكسبى) ، يقول مرتبكًا :

ـ لقد حاولت منعها أيها الرئيس ، ولكن ..

نهض (برودى) ، قائلاً :

ـ لا بأس .. تفضلى يا مسز (كيتز) .. هل هناك خدمة يمكننى ..

قبل أن يكمل عبارته هوت المرأة على وجهه بالجريدة المطوية ، فى صفعة أذهلته بأكثر مما آلمته ، ثم تركت السيدة الجريدة تسقط أرضًا ، وهى تصرخ :

ـ إذن فقد كنت تعلم .. كانت هناك ضحية سابقة ، ولم تحاول إنذارنا أو تحذيرنا .. يا لك من وغد .

ارتفعت المرارة إلى حلق (برودى) ، فقد كان هذا صحيحًا ، على الرغم من أنه ليس كل الحقيقة ، فابتلع مرارته ، وقال :

ـ لم أكن أعلم بالضبط يا مسز (كيتز) ، الواقع أن ..

ولكنها قاطعته صارخة :

ـ أنت قتلت (أليكس) .

راحت تعوى وتصرخ ، على نحو سمعه الجميع حتمًا ، فى القسم ، وموقف السيارات خارجه ، والشارع ، والشاطئ .. وكان من الواضح أنها كانت تبكى منذ فترة



قبل أن يكمل عبارته هوت المرأة على وجهه بالجريدة المطوية ، فى صفعة أذهلته بأكثر مما آلمته ..

طويلة ، مما يؤكد معرفة الجميع بما حدث ، ولقد راحت تصرخ في هستيرية :

ـ أنت قاتله .. لن أغفر لك .. لن أتركك أبدا .

حاول أن يلمس كتفها مهدئًا ، وهو يقول :

ـ رويدك ياسيدتي .. امنحيني فرصة الشرح .

ولكنها ابتعدت عن يده ، صارخة :

ـ أبعد يدك القذرة عني .. لقد كنت تعلم .. عرفت ولم تتكلم ، وتركت طفلا جميلا يلقى مصرعه .. طفلا في السادسة من عمره .. ابني .. إنك رجل شرير .. شرير .

هتف (برودي) :

ـ يكفي هذا يا مسز (كيتز) .. أنت لا تعرفين الحقيقة .. سل (ميدوز) ..

صرخت :

ـ سيؤيدك بالطبع ، فهو صديقك .. وربما اتفقتما على قرار الكتمان معًا .. قل لي : كم ربحت من هذا ؟

تراجع (برودي) ، هاتفًا في فزع :

ـ ربحت ؟!

صرخت :

ـ نعم .. من منحك رشوة كافية ، حتى لا تتكلم .. أخبرني ، وسأدفع لك المزيد .. أخبرني لماذا لم تحاول إنذارنا ؟ .. لماذا ؟

أجابها في مرارة :

ـ لأننا لم نتصور أن يحدث هذا ثانية .

نطقها في سرعة واقتضاب ، وكأنه يلقي ما لديه دفعة واحدة ، وحدقت المرأة في وجهه ، وكأنها تبحث في ملامحه عن الحقيقة ، ثم لم تلبث ثورتها كلها أن تلاشت بغتة ، كما لو كانت طاقتها قد نفدت ، وتهالكت على أقرب مقعد إليها ، وراحت تبكي بحرقة ، ولكنها تركت في أعماق (برودي) جرحًا غائرًا ..

.. جرحًا لا يندمل ..

* * *

كانت مسز (كيتز) قد انصرفت منذ قليل ، مع طبيب المستشفى ، عندما تنهد (برودي) في مرارة ، وقال :

ـ الساعة لم تتجاوز التاسعة بعد ، ولو استمر اليوم على هذه الوتيرة ، فأظنني سأصاب بانهيار عصبي حاد .

قال (ميدوز) :

— لا تأخذ ما قالته بمحمل الجد، فلقد كانت منهارة، و ..

— أعرف يا (هارى) .. أعرف .. ولكن المشكلة أن رأيها يتوافق مع رأيى فى نفسى .

— لا يا (مارتن) .. لا تلُم نفسك .

— أعلم أننى أستطيع إلقاء اللوم على (لارى فوجان) ، أو حتى عليك أنت ، ولكننى أعلم أننى كنت أستطيع منع مصرع طفل ورجل ، ولم أفعل شيئًا لذلك .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال الداخلى إلى جواره ، وأتاه صوت أحد رجاله يقول :

— إنه مستر (لارى فوجان) على الهاتف .

التقط (برودى) سمّاعة الهاتف ، وقال فى لهجة تحمل مزيجًا من السخرية والمرارة :

— أهلًا يا (لارى) .. هل قضيت إجازة ممتعة ؟

أجابه (فوجان) ، دون أن ينتبه إلى رنة السخرية فى حديثه :

— نعم .. حتى الحادية عشرة مساءً فقط ، حتى سمعت الأخبار ، ولقد أردت الاتصال بك ، ولكننى رأيت أنك قد قضيت يومًا عصيبًا ، ولا داعى لأن أضيف المزيد إلى متاعبك .

قال (برودى) فى ضجر :

— حسنًا فعلت .

— إننى أشعر بالأسف يا (مارتن) .

— حقًا ؟

— بالتأكيد .. لقد اتصل بى اثنان من كبار المستأجرين ، وأنهيا تعاقدهما معى ، على الرغم من تهديدى لهما باللجوء إلى القضاء ، ومازال لدى عشرون منزلًا لم تؤجّر بعد ، خلال أغسطس ، والناس يؤكدون أنهم لن يقضوا إجازتهم فى (أميتى) .

— أهذا هو كل ما يهمك يا (لارى) ؟

— إنه عملى يا (مارتن) .

— ابحث عن عمل آخر إذن ، فى هذا الموسم على الأقل ، فلقد أغلقت الشاطئ .

— وإلى متى يستمرّ قرارك هذا ؟

— بضعة أيام .. أو أسابيع .

— خطأ يا (مارتن) .. هل تعلم أن الأسبوع القادم ينتهى بالرابع من يوليو ؟

— نعم .. أعلم .. وأعلم أنها إجازة للدولة كلها .

— عظيم .. لو أمكننا تحسين المصيف ، فى الرابع من يوليو ، فسنستطيع إنقاذ (أغسطس) أيضا .. أليس كذلك ؟

— هل تساومنى يا (لارى) ؟

— لا .. لا .. إننى أفكر بصوت مرتفع .. أو أدعو الله بصوت عال .. المهم .. كيف ستعرف أن ذلك الشىء قد رحل ؟

— لم أستقر على الوسيلة بعد ، ولكن أحد أصدقاء (ميدوز) خبير بأسماك القرش ، وهو يؤكد أنه بإمكاننا اصطياد السمكة .. ما رأيك فى أن تمنحنا مائتى دولار ، لنستأجر قارب (بن جاردنر) ليوم أو يومين ؟ لست أدرى إذا ما كان قد اصطاد قروشا من قبل أم لا ، ولكن يمكننا أن نحاول .

— نعم .. يمكننا أن نحاول يا (مارتـــن) .. أخبر (ميدوز) أننى سأحضر النقود .

أنهى (برودى) المحادثة ، ثم التفت إلى (ميدوز) ، وقال :

— عجبًا !!.. (لارى فوجان) هذا ثرى للغاية ، وعلى الرغم من هذا فهو يتحدث عن المشكلة كما لو كانت مشكلة حياة أو موت .. تُرى هل لهذا علاقة بشركائه الغامضين ؟

هزّ (ميدوز) كتفيه ، وقال :

— من يدرى ؟

عقد (برودى) حاجبيه ، وهو يقول فى توتر :

— نعم يا (هارى) .. من يدرى ؟.. ولكننى أكاد أقسم أن (لارى) هذا يحجب خلفه سرًّا رهيبًا .

لم يجب (ميدوز) ، وإنما بقى صامتًا ، وشىء ما فى أعماقه يرتجف ، ويشعر أن (برودى) على حق ..

.. على حق تمامًا ..

* * *

٥ ـ القارب ..

انتشر الضباب بشدة ، فى صباح الخميس ، حتى أن أشعة الشمس عجزت عن اختراقه طوال النهار ، إلى أن بدأ يتبدَّد فى الخامسة ، فاستقل (هندريكس) سيارته ، وخرج يتفقَّد الشاطىء ، ولقد أدهشه أن يجد سيارة الرئيس (برودى) هناك ، ثم لم يلبث أن لمح الرئيس نفسه جالسًا عند الشاطىء ، يتطلَّع بمنظاره المقرِّب إلى البحر ، متابعًا حركة قارب صغير ، يتهادى فوق سطح الماء فى بطء ، فاتجه إليه يسأله :

ـ ماذا تفعل يا سيِّدى الرئيس ؟

أشار (برودى) إلى الزورق ، قائلاً :

ـ إننى أحاول معرفة ما يفعله (بن جاردنر) فى قاربه هناك ، فالمفروض أنه يصطاد ، ولكننى هنا منذ ساعة ، ولم أر شيئًا يتحرَّك على القارب قط .. انظر بنفسك .

تطلَّع (هندريكس) عبر المنظار المقرِّب إلى الزورق ، ثم غمغم :

ـ هذا صحيح .. منذ متى وهو فى البحر ؟

ـ لقد أخبرنى أمس أنه سيخرج للصيد فى السادسة .

ـ هل خرج وحده ؟

ـ لست أدرى ، ولكن الأمر يوحى بذلك .

ـ هل تحب أن نذهب ونتأكَّد ؟.. ما تزال أمامنا ساعتان ، قبل غروب الشمس .

ـ وكيف سنذهب إلى هناك ؟

ـ سأقترض قارب (تشيكرنج) .. إن لديه قاربًا ، من طراز (أكواسبورت) .

شعر (برودى) بالتوتر ، لمجرّد ذكر فكرة النزول إلى البحر ، فمنذ طفولته كان البحر فى نظره يمتلىء بالوحوش والكائنات المخيفة ، ولكن واجبه دفعه إلى أن يقول :

ـ لا بأس .. ليس أمامنا خيار آخر ، اذهب أنت لإحضار قارب ، فى حين سأسأل أنا زوجة (بن جاردنر) ، فربما اتصل بها هو لاسلكيًا .

وافترقا استعدادًا للقاء آخر ..

.. فى قلب البحر ..

* * *

عندما عاد (برودى) إلى المرفأ ، كان (هندريكس) قد أعد الزورق ، ولم يكد (برودى) يصعد إلى سطح الزورق ، حتى سأله (هندريكس) فى اهتمام :

ــ ماذا قالت زوجة (بن جاردنر) ؟

ــ ولا كلمة .. قالت : إنها تحاول الاتصال به لاسلكيًا منذ نصف الساعة ، ولكنها تظن أنه قد أغلق جهاز اللاسلكى .

ــ أهو وحده ؟

ــ نعم .. وحده تمامًا .

ــ هذا عجيب .

وهنا تدخل (ليونارد) ، قائد الزورق ، وقال :

ــ بل قل : إنه أعجب شىء بالنسبة لصياد ، فلا أحد يغلق جهاز اللاسلكى ، وهو فى عرض البحر .

تبادل (برودى) مع (هندريكس) نظرة قلق ، ثم قال :

ــ هيا يا (ليونارد) .. انطلق بذلك الشىء .

قال (هندريكس) بشىء من الزهو :

ــ سأقوده أنا .

انطلقا بالزورق فى سرعة ضايقت (برودى) ، فقال فى عصبية :

ــ أمن الضرورى أن تنطلق بهذه السرعة ؟

ابتسم (هندريكس) ، وقال :

ــ هذا أفضل يا سيِّدى .

لم يعترض (برودى) هذه المرة ، وإنما راح يقاوم ذلك التوتر الذى يسرى فى عروقه ، والذى تضاعف عندما اقتربا من قارب (بن جاردنر) ، ووجداه راسيًا فى المياه العميقة ، فقال :

ــ لماذا يرسو (بن جاردنر) فى منطقة عميقة كهذه ؟

هزّ (هندريكس) كتفيه دون أن يجيب ، وأوقف الزورق إلى جوار قارب (بن جاردنر) ، فازدرد (برودى) لعابه ، وصعد إلى القارب ، وهتف :

ــ هاى (بن) .

لم يتلق جوابًا ، فبدأ يبحث فى القارب عن أى أثر للحياة ، ولكنه لم يجد سوى دلو يمتلئ بأحشاء الأسماك والدماء ، فسأل (هندريكس) :

ــ ما هذا ؟

أجابه (هندريكس) :

ــ إنه طعم .. المفروض أن يلقيه فى الماء ، ليجذب

القروش ، ولكن من الواضح أنه لم يستخدم الكثير منه ، و ...

ارتفع من خلفهما فجأة صوت يقول :

ــ هنا (بريتى) .. هل تسمعنى يا (بن) ؟

كان جهاز اللاسلكى هو مصدر الصوت ، فقال (برودى) فى توتر :

ــ إذن فجهاز اللاسلكى يعمل .

انتقل توتره إلى (هندريكس) ، الذى قال :

ــ ماذا حدث إذن ؟.. إنه لا يمتلك زورق نجاة ، ثم إنه يسبح كالسمكة ، والقارب سليم يصلح للعمل ، فماذا أصابه ؟

أشار (برودى) إلى أربع فتحات فى أرضية القارب ، وقال :

ــ ما هذا ؟

انحنى (هندريكس) يفحص الفتحات ، ثم قال :

ــ إنه موضع حلقة المربط الصلب .. لقد انتزعت مساميرها الأربعة من مكانها بالقوة ، فالخشب حولها مهترئ .. يا إلهى !.. أية قوة يمكنها انتزاع مثل هذا المربط ؟

ارتجف (برودى) ، وهو يتخيل السبب ، ثم اتجه إلى

مؤخرة القارب ، وتطلّع إلى الماء لحظات ، ثم لم يلبث أن انحنى يفحص خشب القارب فى اهتمام ، وهتف بـ (هندريكس) :

ــ انظر هنا .

أسرع إليه (هندريكس) ، وتطلّع إلى عدد من الثقوب والفتحات العميقة ، فى الخشب ، ثم إلى بقع من الدماء ، حول تلك الثقوب ، و (برودى) يقول :

ــ يا إلهى !.. هل يمكنك فحص هذه العلامات يا (هندريكس) ؟

قال (هندريكس) :

ــ نعم أيها الرئيس ، ولكن عليك أن تمسك قدمى جيدًا .

أمسك (برودى) قدميه فى قوة ، ومال هو يفحص الثقوب ، حتى لامس رأسه سطح الماء ، فقال فى قلق :

ــ لو جاء القرش الآن ، لوجدنى فريسة سهلة .

ارتجف (برودى) وهو يقول :

ــ لا تذكر هذا .

صمت (هندريكس) ، وهو يفحص الثقوب ، ثم هتف :

ــ يا إلهى !.. ناولنى مدية أيها الرئيس .

لم يكن من السهل أن ينتزع (برودى) مدبته ، وهو يمسك قدمى (هندريكس) ، ولكنه بذل جهده حتى فعل ، وناول المدية لـ (هندريكس) ، الذى راح يعبث بها فى الثقوب قليلًا ، ثم قال بانفعال :

ـ هيا أيها الرئيس .. ارفعنى .

جذبه (برودى) ثانية إلى القارب ، وسأله فى لهفة :

ـ ماذا وجدت ؟

ناوله (هندريكس) مثلثًا أبيض لامعًا ، له حروف مشرشرة كالمنشار ، وهو يقول فى توتر :

ـ إنها إحدى أسنان القرش يا سيِّدى .. يبدو أن اللعين قد التهم (بن) .

قال (برودى) بصوت مرتجف :

ـ وهل بقى لديك أدنى شك ؟

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وأضاف :

ـ هيا .. سنترك قارب (بن) هنا حتى الصباح ، وسنعود الآن إلى الشاطىء .. هيا .

وكان يرتجف .

.. يرتجف بشدة ..

* * *



أمسك (برودى) قدميه فى قوة ، ومال هو يفحص الثقوب ، حتى لامس رأسه سطح الماء ..

شعر (برودى) بدهشة بالغة ، عندما بلغ الشاطىء ، ليجد (ميدوز) وشخصًا آخر فى انتظاره ، فهتف بـ (ميدوز) :

— ألديك حاسة سادسة يا (هارى) ؟

ابتسم (ميدوز) ، وقال :

— إنه عملى .

ثم قدم رفيقه إلى (برودى) ، قائلًا :

— هذا (مات هوبر) ، الذى حدثتك عنه .

تطلّع (برودى) فى دهشة إلى (هوبر) ، الذى بدا له أصغر سنًا مما كانْ يتوقّع ؛ إذ كان فى منتصف العشرينات ، وسيمًا ، برونزى اللون ، أشقر الشعر ، طويل القامة مثل (برودى) نفسه ، ولكنه أكثر رشاقة وقوة ، ولقد أضاف (ميدوز) ، دون أن ينتظر تعليق (برودى) :

— لقد استدعيته لمعاونتنا .

ثم أضاف فى خفة :

— ماذا وجدت فى قارب (بن) ؟

كاد (برودى) يخرج السنة من جيبه ، إلا أنه لم يلبث أن تراجع ، وقال :

— سأخبرك فى القسم يا (هارى) .

سأله (ميدوز) :

— وهل سيبقى (بن) فى عرض البحر طوال الليل ؟

تنهّد (برودى) ، وقال :

— نعم .. أعتقد هذا .

ثم أسرع إلى سيارته ، وانطلق بها وحده ، عائدًا إلى القسم ، وبلغه قبل (ميدوز) و (هوبر) ، فأمسك سمّاعة الهاتف ، واتصل بـ (سالى جاردنر) زوجة (بن) ، التى لم تكد تسمع صوته ، حتى سألته :

— أين (بن) يا (مارتن) ؟

كان صوتها هادئًا ، ولكنه أعلى من المعتاد ، فأجابها :

— لست أدرى يا (سالى) .

وهنا بدأ التوتر يسرى فى صوتها ، وهو تقول :

— ماذا تعنى بأنك لا تدرى ؟.. ألم تذهب إلى القارب ؟

— بلى ، ولكنه لم يكن هناك .

— (بن) أم القارب ؟

— القارب كان فى موضعه ، ولكن بدون (بن) .

— ماذا تعنى ؟

كانت قد بدأت تحتد فى صوتها ، وأسلوبها ، وأدرك (برودى) أنها على وشك الانهيار ، فقال لها ، محاولاً جلب أكبر قدر من الهدوء إلى صوته :

ــ لحظة يا (سالى) .

ثم نادى الضابط الواقف بالخارج ، وقال :

ــ اتصل بمسز (جريس فيسلى) ، جارة (سالى جاردنر) ، واطلب منها أن تذهب على الفور إلى منزل (سالى) ، فهى تحتاج إلى شخص ما الآن ، وسأخبرها أنا عن السبب فيما بعد .

دخل (ميدوز) و (هوبر) فى هذه اللحظة ، فأشار إليهما بالجلوس ، وهو يتابع حديثه مع (سالى) ، والتى سألته :

ــ هل بحثت داخل القارب ؟

ــ نعم يا (سالى) ، ولكنه لم يكن هناك .

ــ أين ذهب إذن ؟.. إنه لن يغادر القارب وسط المحيط .. أليس كذلك ؟

ــ بالطبع .

ــ إنه لم يسقط فى الماء أيضًا ، فلو فعل لصعد إلى السطح فى بساطة .

ــ هل كان يملك زورقًا للنجاة يا (سالى) ؟

ــ كلا .

فى هذه اللحظة سمع صوت (جريس) عبر الهاتف ، ثم سألته (سالى) فى دهشة :

ــ لماذا طلبت من (جريس) الحضور إلى هنا .

قالتها وانخرطت فجأة فى بكاء حار ، وكأنما أدركت حقيقة الموقف ، أو اعترفت بها أخيرًا ، وتناولت (جريس) سمّاعة الهاتف ، فشرح لها (برودى) الموقف فى اختصار ، وطلب منها عدم إخبار (سالى) بأمر القرش ، ولكن (سالى) اختطفت سمّاعة الهاتف وصاحت به :

ــ أنت المسئول يا (مارتن) .. أنت طلبت منه اصطياد ذلك القرش .

شعر بالغضب من اتهامها هذه المرة ، وقال فى حدة :

ــ كفى يا (سالى) .. لقد كان (بن) صيادًا محترفًا ، يدرك ما يواجهه ، ولقد وافق على أداء العمل ، مقابل ..

قاطعته صارخة :

ــ أنت المسئول .

ــ أنهى المحادثة على الفور ، فلم يكن مستعدًا لمواجهة

اهتمام جديد ، وتطلّع فى توتر إلى (ميدوز) و (هوبر) ، وقال الأوّل :

— يبدو أن (بن) قد أصبح الضحية رقم أربعة .

غمغم (برودى) :

— أعتقد هذا .

ثم أخبر (ميدوز) و (هوبر) عن كل ما حدث عند قارب (بن) ، ثم ناول السنّ البيضاء لـ (هوبر) ، الذى فحصها فى اهتمام ، و (برودى) يسأله :

— ما رأيك ؟

أجابه (هوبر) :

— إنه قرش أبيض ، بالغ الضخامة .. يا إلهى !.. كم يسعدنى أن حضرت إلى هنا .. كان يمكننى أن أقضى حياتى كلها مع القروش ، دون أن أرى قرشا كهذا .

سأله (برودى) :

— وكم يبلغ وزن هذه السمكة تقريبًا ؟

مطّ (هوبر) شفتيه ، وهزّ كتفيه ، قائلًا :

— حوالى ثلاثة أطنان .

أطلق (بوردى) صفير دهشة ، فى حين التفت (ميدوز) إلى (هوبر) ، وسأله :

— ألديك فكرة عما يحتمل حدوثه ؟

— من الواضح أن السمكة قتلته .

— كيف ؟

— ربما سقط من على القارب ، أو التفّ حبل الحربة حول قدمه ، فسحبه القرش إلى الأعماق ، أو هاجمه وهو منحنٍ عند مؤخرة القارب ، وهذا يفسِّر وجود السنّ .

— ولكن لماذا يهاجم القرش القارب .

— القروش ليست ذكية ، والغرائز وحدها تحكم تفكيرها ، مثل غريزة الجوع ، والبحث عن الطعام .

— ولكن هذا ليس طعامًا .. إنه قارب طوله عشرة أمتار .

— بالنسبة للقرش لم يكن هذا قاربًا ، بل مجرَّد شىء كبير ، يمكن أن يكون طعامًا .

— ولكنه لا يصلح كطعام .

— لن يعرف القرش هذا ، حتى يجرِّب بنفسه ، فالقرش الأبيض يختلف عن باقى الكائنات البحرية فى أنه لا يخاف شيئًا ، حتى ولو كان أكبر منه حجمًا ، ويمكنه أن يهاجم كل شىء ، وأى شىء تقريبًا .

سأله (برودى) :

ــ هل لديك فكرة عن سبب بقائه هنا ، طوال هذه الفترة ؟.. معذرة ولكن ينبغى أن أسألك أوّلا عن مدى معلوماتك عن المياه فى المنطقة .

ــ لقد نشأت هنا .

ــ هنا ؟!.. فى (أميتى) ؟

ــ لا .. فى (ساوث هامبتون) .. لقد قضيت بها كل مواسم الصيف ، طوال أيام الدراسة .

ــ كل مواسم الصيف ؟!.. إذن فأنت لم تنشأ هنا فعليًا .

كان يسعده أن يجد شيئًا يُميِّزه عن هذا الشاب ، ولكن (هوبر) أجاب فى بساطة :

ــ أعرف ما تقصده ، ولكننى قضيت أوقاتًا كثيرة على هذا الشاطئ ، وكتبت عنه بحثًا علميًا ، والواقع أن البيئة لا صلة لها ببقاء القرش أو انصرافه .

سأله (برودى) ، وقد ضايقه أن يفقد كل مميزاته على هذا النحو :

ــ ما الذى يبقيه إذن ؟

بدا جواب (هوبر) مخيفًا ، وهو يقول :

ــ لا يمكنك العثور على جواب شاف .. أبدًا .

وتضاعف الخوف فى أعماق (برودى) .

* * *

٦ ـ التوتر ..

حدّق (برودى) فى وجه (هوبر) طويلًا ، قبل أن يسأله فى توتر :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟

أجابه (هوبر) فى هدوء وبساطة :

ـ من المستحيل استنتاج أسباب وتصرفات القرش ، فالقروش تأتى من الأفعال الشاذة ما يجعل الشاذ بالنسبة إليها طبيعيًا ، وأى شخص يغامر باستنتاج ما قد يقدم عليه القرش شخص أحمق .

غمغم (برودى) فى توتر :

ـ عظيم .. لا يوجد ما يمكننا أن نستند إليه إذن .

هزّ (هوبر) كتفيه ، وقال :

ـ يمكننا أن نحاول على الأقل ، فهناك التغيرات فى درجة حرارة المياه ، أو التيارات البحرية ، وغيرها ، فلقد بقى هذا القرش فى مكان واحد ، ودائرة لا يزيد نصف قطرها على

كيلو متر واحد ، لمدة تزيد على الأسبوعين ، فما الذين يعجبه فى (أميتى) بالذات ؟.. لماذا لم يهاجم أحدًا فى (ساوث هامبتون) ، أو (إيست هامبتون) ؟

قال (ميدوز) مبتسمًا :

ـ (مينى إلدريدج) ، رئيسة مكتب البريد تقول : إنها إرادة الله ، وإننا نعاقب على خطايانا .

قال (هوبر) :

ـ سيدهشك أن أوافقها على رأيها فى الوقت الحالى ، إلا أننى سآخذ فى الوقت نفسه عينات من الماء ، وسأحاول كشف سلوك الأنواع الأخرى من الأسماك ، وبالمناسبة ، هل يمكننى أن أجد قاربًا ؟

أجابه (برودى) :

ـ يمكنك استخدام قارب (بن) المسكين ، حتى أعمل على تسوية الأمر مع زوجته ، ولكن هل تظن أنك قادر على اصطياد ذلك القرش ؟

ـ إننى حتى لن أحاول ، وأنا وحدى على الأقل .

ـ ماذا تريد أن تفعل إذن ؟

ـ لست أدرى ، سأقرّر فيما بعد .

— اسمع يا (هوبر) .. إننى أريد القضاء على تلك السمكة ، ولو لم تكن تستطيع هذا ، فسنلجأ إلى شخص آخر .

فهقه (هوبر) ضاحكًا ، وقال :

— إنك تتحدث كما لو كنت عضوًا فى عصابة إجرامية .. من فى رأيك يمكنه قتل مثل هذه السمكة ؟

قال (برودى) فى حدة :

— سنعثر على واحد حتمًا .. أخبرنى يا (هارى) : إنك تعرف كل ما يدور فى المنطقة .. هل تعرف شخصًا يمكنه اصطياد ذلك القرش ؟

فكرّ (ميدوز) لحظات ، ثم قال :

— ربما يوجد واحد ، ولكننى لا أعرف الكثير عنه .. أظن أنه يدعى (كوينت) ، وهو يعمل عند مرفأ خاص ، بالقرب من (بروميد أيلاند) ، وسأحاول معرفة المزيد عنه لو أردت .

قال (هوبر) :

— اسمع أيها الرئيس ، لا يمكنك أن تسعى للانتقام من سمكة .. إنها فكرة حمقاء ، فالسمكة مجرّد مخلوق بلا عقل ، يتبع غرائزه فحسب .

هتف (برودى) فى غضب :

— اسمع يا هذا .. احتفظ بفلسفتك هذه لنفسك .. لقد قتلت تلك السمكة اللعينة رجلين وامرأة وطفلًا من (أميتى) ، والجميع يطالبون بقتلها ، ولن يهدأ لهم بال إلا عندما يرونها قتيلة ، و ....

قاطعه صوت أحد رجاله ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول :

— مكالمة لك أيها الرئيس ، من مستر (فوجان) .

التقط (برودى) سمّاعة الهاتف ، وهو يقول متهكمًا :

— عظيم .. هذا ما أحتاج إليه بالضبط .

ثم وضع السمّاعة على أذنه ، قائلًا :

— أنا (مارتن) يا (لارى) .

أتاه صوت (فوجان) يقول فى ود :

— كيف حالك يا (مارتن) .. يبدو أنك تعمل لوقت متأخر .. لقد اتصلت بمنزلك ، ولكننى لم أجدك هناك .

— هذا طبيعى يا (لارى) ، فأنا المسئول عن الأمن هنا ، وعن مصرع شخص كل عشرين دقيقة .

— لا تبالغ يا (مارتن) .. لقد بلغتنى أخبار (بن) .

– ما الذى بلغك منها ؟
– إنه مفقود .
– يبدو أن الأخبار تنتشر بسرعة .
– أأنت واثق من أن القرش هو السبب ، فى هذه المرة أيضًا ؟
– لا يوجد تفسير آخر هذه المرة ؟
– وماذا تنوى أن تفعل هذه المرة ؟
كان صوت (فوجان) شديد التوتر هذه المرة ، ولكن (برودى) أجابه فى هدوء يُحسد عليه :
– سؤال جيد يا (لارى) .. إننا نفعل كل ما بوسعنا .. لقد أغلقنا الشاطئ ، و ...
– هذا لايكفى يا (مارتن) .. هل جرّبت مرة أن تبيع بعض المنازل للأصحاء ، فى مستعمرة للجزام ؟
– لا يا (لارى) .. لم أحاول هذا قط .
– أنت لا تدرك ما يحدث لى إذن .. فى كل يوم يتصل بى بعض الناس ؛ لإلغاء عقودهم فى (أميتى) ، ولم أنه تعاقدًا واحدًا منذ الأحد الماضى .
– وما المطلوب منى بالضبط ؟

– يبدو أننا قد تسرّعنا بإغلاق الشاطئ يا (مارتن) .
– هل تمزح يا (لارى) ؟
– بالتأكيد لا يا (مارتن) .. ما رأيك لو فتحنا الشاطئ فى الرابع من يوليو ؟.. إنه عيد الاستقلال ، و ...
– لقد فقدت عقلك حتمًا يا (لارى) .. إننى لن أفتح الشاطئ إلا بعد اصطياد تلك السمكة اللعينة وقتلها .
– وماذا عن الحواجز ؟.. لقد أخبرنى شخص ما أنهم يحمون الشواطئ فى (استراليا) بشبكات من الصلب .
شعر (برودى) بمزيج من الغضب والضجر والحنق ، وخُيّل إليه أن (فوجان) مخمور ولاشك ، فقال محاولاً تمالك أعصابه :
– هل ترغب فى مد أسلاك على امتداد ثلاثة كيلومترات يا (لارى) ؟. لا بأس .. أرسل مليون دولار كبداية .
قال (فوجان) فى توتر :
– وماذا عن دوريات الشواطئ ؟.. يمكننا أن نستأجر بعض الأشخاص للقيام بدوريات منتظمة ، و ....
قاطعه (برودى) فى غضب :
– تُصبح على خير يا (لارى) .

وأنهى المحادثة على الفور ، فنهض (ميدوز) و (هوبر) ، قائلين :

ــ أظن أنه من الأفضل أن ننصرف .

لم يعترض (بوردى) ، وإنما رافقهما إلى الخارج ، ولكنه لم يكد يبلغ سيارتهما ، حتى قال لـ (ميدوز) :

ــ (هارى) .. لقد نسيت قداحتك فى مكتبى ، تعال لتأخذها .

تبعه (ميدوز) فى صمت ، ولم يكد يدخل معه إلى المكتب ، حتى أخرج قداحته ، وقال :

ــ إننى لم أنسها يا (مارتن) ، ما الذى تريد أن تقوله لى بالضبط ؟

ــ أغلق (برودى) باب مكتبه ، وقال :

ــ هل يمكنك أن تتحرّى عن شركاء (لارى فوجان) ؟

تطلّع إليه (ميدوز) لحظة فى صمت ، ثم أجاب :

ــ يمكننى هذا بالطبع ، ولكن لماذا ؟

ــ إن (لارى) يحاول ــ منذ بداية الأمر ــ أن يُبقى الشاطىء مفتوحًا بأية وسيلة ، على الرغم من كل ما يحدث ، وهو يطالبنى الآن بفتحه فى الرابع من يوليو على الأقل ، ولقد

قال فى مرة سابقة إن شركاءه يضغطون عليه ، فمن هم هؤلاء الشركاء ، الذين يملون إرادتهم على محافظنا ؟

ــ حسنًا يا (مارتن) ، سأبذل قصارى جهدى لمعرفتهم ، ولكن ينبغى أن تعرف أن الأمر لن يكون لطيفًا .

ــ كل الأمور لم تعد لطيفة هذه الأيام يا (هارى) .. الجميع يشكون سوء الحال ، وكساد تجارتهم وعملهم ، ولن يضيف هذا الكثير إلى متاعبهم ، بل ربما كان السبيل الوحيد للخروج من الأزمة .

ــ ربما يا (مارتن) .. ربما .

تركه (بوردى) ينصرف ، وهو يدرك أن المواجهة قد صارت قريبة ..

ــ.. قريبة للغاية ..

* * *

لم يكن إغلاق الشواطىء قرارًا سهــلاً ، كما تصوُر (برودى) ، فقد واجه رجلاه ، اللذان وضعهما على الشاطىء لتنفيذ القرار ، صعوبات بالغة فى هذا الشأن ، إذ أصرّ بعض الناس على السباحة ، على الرغم من القرار ، وأصرّ رجل على أن هذا حقه الدستورى ، وأطلق كلبه خلف رجلى



لم يكن إغلاق الشواطئ قرارًا سهلًا ، كما تصوَّر (برودى) ، فقد واجه رجلاه ، اللذان وضعهما على الشاطئ لتنفيذ القرار صعوبات بالغة ..

الشرطة ، اللذين كادا يطلقان النار عليه ، وخرج صبيان بزورقهما إلى البحر ، وراحا يلقيان الدماء وأحشاء الدجاج فيه ، مما جعل (برودى) يستعين بـ (هوبر) وقارب (بن) ؛ لإعادتهما إلى الشاطئ ، بالإضافة إلى عدة بلاغات كاذبة ، ودعابات سمجة ، حول ظهور القرش فى أماكن مختلفة ، حتى أن (برودى) كان يشعر بتوتر وإرهاق بالغين ، عندما عاد إلى منزله فى التاسعة ، واستقبله أبناؤه الثلاثة (بيلى) و (مارتن) و (شون) بلا مبالاة ، وهم يتابعون التلفاز فى اهتمام بالغ ، فابتسم وهو يقول :

ـ كيف حالكم يا أولاد ؟

أجابه (بل) ، دون أن يرفع عينيه عن التلفاز :

ـ بخير يا أبى .. أمى فى الطابق العلوى ، وتقول : إن عشاءك فى المطبخ .

ذهب إلى المطبخ فى بساطة كعادته ، وراح يتناول عشاءه فى صمت ، ثم صعد إلى الطابق العلوى ، ورأى (إلين) راقدة على الفراش ، تطالع مجلة قديمة ، ولقد ابتسمت لرؤيته ، وسألته :

ـ هل كان يومك متعبًا ؟

أجابها فى تلقائية :

ـ كل الأيام متعبة الآن .

ـ خلع ثيابه ، وارتدى منامته ، ورقد إلى جوارها ، وهى تسأله :

ـ تُرى ماذا ستفعل (سالى) ، بعد رحيل (بن) ؟

غمغم فى تهالك :

ـ لست أدرى .. قد يمكننا معاونتها بشكل ما .

قالت معترضة :

ـ كيف ؟.. إننا نعانى من قلة الموارد هذا العام ، و ...

لم يستمع إلى باقى حديثها ؛ لأنه لم يكن هناك ..

.. كان يغرق فى أعماق سبات ..

.. سبات بلا قرار ..

* * *

مضت عطلة نهاية الأسبوع هادئة ، كعطلات نهاية الخريف ، وأدرك (برودى) أن سكان (أميتى) كلهم قد أصيبوا بإحباط لا حد له ، وراح يتصوّر مرارتهم وحزنهم ، وضايقه أن تضطره الظروف لاتخاذ قرار صارم كهذا ، حتى التقى بـ (هوبر) ، الذى قضى الأيام السابقة يجوب

الشواطىء المجاورة ، فى قارب (بن) ، ولم يكد يلتقى بـ (برودى) ، حتى قال مبتسمًا :

ـ أكاد أجزم هذه المرة أن القرش قد رحل إلى المياه العميقة مرة أخرى .

سأله (برودى) فى لهفة :

ـ ولماذا تظن هذا ؟

ـ لا أثر له مطلقًا ، ثم إنه هناك أنواع أخرى من الأسماك هنا ، وكان المفروض أن تختفى فى وجود القرش الأبيض .

ـ هل تعتبر ذلك مبرّرًا لإعادة فتح الشواطىء ؟

ـ ربّما .

لم يكن هذا الجواب كافيًا بالنسبة لـ (برودى) ، الذى يحتاج إلى أدلة قاطعة ، قبل أن يتخذ قرارًا حاسمًا كهذا ، لذا فقد هزّ رأسه ، قائلًا :

ـ لن يقنعنى هذا بإعادة فتح الشواطىء .

ابتسم (هوبر) ، وقال :

ـ لو أردت رأيى ، فأنت على حق .

ـ تطلّع إليه (برودى) فى دهشة ، ثم لم يلبث أن ابتسم بدوره ، قائلًا :

ــ يبدو أننا نتفق فى الكثير يا (هوبر) .

كان (هوبر) يروق له بالفعل ، حتى أنه لم يعترض عندما اقترحت (إلين) دعوته لتناول العشاء ، على الرغم من أنه يدرك أن (إلين) ستنتهز الفرصة لدعوة بعض الأصدقاء ، وإقامة وليمة كبيرة ، تلتهم جزءًا ضخما من موارده ، لتزهو بهذا ، فقد كان يرغب فى إسعادها من حين لآخر ..

.. ولقد حدث ما توقعه ؛ إذ دعت (ميدوز) وزوجه (دوردش) ، وفتاة تدعى (ديـزى ويكـر) ، وحمد (برودى) الله على أنها اكتفت بهذا العدد البسيط ، وارتدى الثياب الأنيقة التى أعدّتها له فى استسلام ، وتطلّع إليها مبتسمًا ، وهى ترتدى ثوبًا رائعًا من الحرير الأزرق ، وعقدًا من اللؤلؤ ، ثم راحا ينتظران معًا ضيوفهما الأربعة ..

.. وكان (هوبر) أوّل من وصل ، مرتديًا سروالًا من (الجينز) ، وقميصًا أحمر ، ولقد بدا خجلًا بعض الشىء ، وهو يقول :

ــ معذرة .. كان المفروض أن أرتدى شيئًا أكثر أناقة ، ولكننى لم أتوقع أية دعوات هنا ؛ لذا فقد ..

قاطعه (برودى) مبتسمًا :

ــ إنك تبدو رائعًا .

ثم دعا أولاده لمصافحة (هوبر) ، الذى صافحهم فى حرارة ، وسأله (بيلى) فى شغف :

ــ أأنت واحد من علماء البحار ؟

أجابه (هوبر) :

ــ بل أنا متخصّص فى حياة الأسماك فحسب .

سأله (مارتن) الصغير :

ــ هل ستصطاد القرش ؟

هزّ (هوبر) كتفيه ، وقال :

ــ هذا لو أنه ما يزال هنا ، فربما يكون قد رحل بعيدًا .

عاد يسأله فى اهتمام :

ــ وهل سبق لك اصطياد قروش أخرى ؟

أجابه محاولًا تخفيف اهتمامه :

ــ بالطبع ، ولكنها لم تكن كبيرة كهذا .

سأله (شون) فجأة :

ــ هل يضع القرش بيضًا ؟

ضحك مجيبًا :

— سؤال جيد يا فتى .. القرش لا يضع بيضًا كبيض الدجاج بالطبع ، ولكن بعض القروش تضع بيضًا بالفعل .

قالت (إلين) فى حزم :

— كفى أسئلة أيها الصغار .. هيا يا (مات) ، حاول أن تتجاهل أسئلتهم ، فهى لا تنتهى أبدًا .

راحت تتحدث مع (هوبر) حول أمور عامة ، حتى وصل (ميدوز) وزوجته ، ووصلت (ديزى ويكر) بعدهما ، وبدأ الحفل الصغير لطيفًا ، وتحاشى الجميع خلاله الحديث عن القرش ، أو حتى الإشارة إليه ، خشية إفساد جو الحفل الجميل ، ولكن (برودى) وحده لم يستطع الاندماج مع الآخرين ، إذ كان هناك فكرة واحدة تملأ رأسه ، وتسيطر على تفكيره تمامًا ..

.. فكرة وجود ذلك القاتل فى البحر ..

.. القاتل المعروف باسم (القرش) ..

.. القرش الدموى الرهيب .

* * *

٧ ـ السر ..

لم يكن (برودى) يتلقى تلك المكالمة الهاتفية ، من مكتب (فوجان) ، فى صباح الخميس ، حتى أدرك على الفور أنها محاولة جديدة لإعادة فتح الشاطئ ، فى الرابع من يوليو ، الذى يحين بعد يومين ، وكان على حق فى تفكيره هذا ، إذ تلقى دعوة لحضور اجتماع المجلس المنتخب ، الذى يرأسه (فوجان) نفسه ، وأدرك أنهم سيحاولون الضغط عليه أكثر ، لاتخاذ قرار فتح الشاطئ ، ولكنه لم يحرص على حضور الاجتماع ، وإنما ذهب إلى هناك بمزيد من الإصرار ، وقد قرَّر فى أعماقه عدم التراجع عن قرار إغلاق الشواطئ ، مادام مقتنعًا بأنه أفضل قرار ممكن ، فى الظروف الحالية ..

.. وعندما وصل (برودى) إلى مكتب (فوجان) ، استقبلته (جانيت) الحسناء ، سكرتيرة (فوجان) ، بابتسامة ساحرة كالمعتاد ، وهى تقول :

— مرحبًا أيها الرئيس .. الجميع فى انتظارك بالداخل .

اتجه إلى باب الحجرة مباشرة ، ولكنها استوقفته لتسأله فى مرح :

— قل لى أوّلا : هل تظن أن ذلك الشاب الوسيم (مات هوبر) ، مرتبط عاطفيًا ، فى هذه الأيام ؟

توقّف ليسألها فى دهشة :

— وأين رأيت (هوبر) هذا ؟

أشارت إلى مكتب (فوجان) ، قائلة :

— إنه هنا ، فى الداخل مع الجميع ، وهو فى الواقع وسيم جدًا .

سألها فى حذر :

— فى الداخل ؟!.. وما الذى أتى به هنا ؟

هزّت كتفيها ، قائلة :

— ومن أدرانى ؟

أدرك أن وجود (هوبر) بالداخل يعنى أنهم يعدون العدة لمواجهته ، وأنه سيواجه معركة شرسة وحده ، فالجميع بالداخل من أنصار (فوجان) ، ومن المؤكد أنهم قد ضموّا إليهم (هوبر) لسبب ما ولكن هذا لم يمنعه من الدخول إلى حجرة الاجتماعات ، وإلقاء التحية على الجميع ، ولقد بدا له

(فوجان) مرهقًا ، غائر العينين ، شاحب الوجه ، كما لو أنه لم يذق طعم النوم منذ شهر كامل ، خاصة وهو يدعوه للجلوس بصوت متحشرج ، قائلًا :

— اجلس يا (مارتن) .. الآن يمكننا بدء الاجتماع .

جلس (برودى) فى مقعده ، وتابع (فوجان) :

— أظنكم تعرفون جميعًا سبب اجتماعنا هنا ، والواقع أنه هناك شخص واحد فقط نحتاج إلى إقناعه ، بما اقتنعنا به جميعًا .

قال (برودى) فى هدوء :

— تقصدنى أنا بالطبع .

أومأ (فوجان) برأسه إيجابًا ، وقال فى توتر :

— حاول أن تنظر إلى الأمر من وجهة نظرنا يا (مارتن) ، فالمدينة تموت ، والناس يفقدون أعمالهم ، والمتاجر تعجز عن فتح أبوابها ، ولا أحد يستأجر المنازل وأكواخ الشاطىء ، وكل يوم يمرّ علينا أشبه بمسمار جديد ، تدقّه فى نعشنا ، واستمرار إغلاق الشاطىء يبدو كتصريح رسمى منا ، نقول فيه للناس : مدينتنا تفتقر إلى الأمن والأمان .. لا تقتربوا منها .

قال (برودى) :

— وماذا لو فتحنا الشواطئ فى الرابع من يوليو ، ثم لقى شخص آخر مصرعه ؟

ـ إنها مخاطرة محسوبة ، وكلنا نرى ضرورة القيام بها .
ـ لماذا ؟
ـ أخبره أنت يا مستر (هوبر) .
تنحنح (هوبر) ، وقال :
ـ هناك عدة أسباب ، فالقرش لم يظهر لمدة أسبوع كامل .
قال (برودى) :
ـ وكذلك لم يسبح أحد طوال هذا الأسبوع ..
ـ هذا صحيح ، ولكننى أجوب البحر بحثا عنه باستمرار ، ولم أر أثرًا له خلال هذه المدة ، ثم إن المياه تزداد دفئًا هذه الأيام ، والقاعدة هى أن القرش الأبيض الضخم يفضِّل المياه الباردة ، وإن كنت أعلم أنها ليست قاعدة .
ـ هل تعتقد أنه قد رحل إلى بحر الشمال ؟
ـ أو عاد إلى عمق البحر ، حيث الماء أكثر برودة ، أو رحل إلى الجنوب .. لا يمكنك التنبؤ بما تفعله هذه الكائنات .
ـ بالضبط .. إنه رأيى أيضًا .. لا يمكنك التنبؤ ، بل مجرَّد التخمين .
تدخل (فوجان) ، قائلًا فى عصبية :
ـ لا يمكنك أن تطلب ضمانًا يا (مارتن) .

أجابه (برودى) بعصبية أكثر :
ـ قل هذا لـ (كريستين واتكنز) ، أو مسز (كينتز) .
لوَّح (فوجان) بكفه فى ضجر ، وقال :
ـ أعلم .. أعلم ، ولكن لابد أن نفعل شيئًا ، لا يمكننا الجلوس فى انتظار معجزة ، فالسماء لن ترسل لنا تقريرًا بابتعاد القرش ، المفروض أن ندرس نحن الدلائل ونتخذ القرار المناسب .
قال (برودى) :
ـ عظيم .. ماذا قال لكم أيضًا هذا الفتى العبقرى .
قال (هوبر) فى حدة :
ـ لقد طلبوا رأيى ، ثم أننى خبير فى هذه الأمور ، ولم أر السمكة طوال أسبوع كامل ، ولا خفر السواحل رأوها ، ولا أحد يلقى الدماء أو القاذورات فى الماء ، ولا يوجد أى تغير فى الأحياء السمكية ، فماذا تطلب من أدلة ، بالإضافة إلى كل هذا ؟
ـ وكذلك لم توجد أسباب فى البداية ، وأراهن أن أحدًا لن يجد أسبابًا أو تفسيرات .
ـ أهو قدر إذن ؟

ــ نعم .. لو أردت أن تقول هذا ، ولا توجد ضمانات ضد القدر .. أليس كذلك يا (لارى) ؟

قال (فوجان) فى حنق :

ــ لست أدرى ماذا تقصد يا (مارتن) ، ولكن من المحتم أن نتخذ قرارًا .

قال (برودى) فى حدة :

ــ لقد اتخذتم قراركم بالفعل .. أليس كذلك ؟

ــ يمكنك أن تقول ذلك .

ــ وماذا لو لقى شخص آخر مصرعه ؟.. من سيتحدَّث مع الزوج أو الزوجة أو الأم ، ويقول بكل بساطة : لقد قامرنا وخسرنا ؟

ــ لا تكن سلبيًا هكذا يا (مارتن) .. لو جاء هذا الموقف ، وأراهنك أنه لن يأتى ، سنجد عندئذ ما نقوله .

ــ لا .. لقد أرهقنى ذلك ، ولن احتمل بعد الآن نتائج أخطائكم .

ــ مهلًا يا (مارتن) ، لا داعى للغضب .

ــ إننى جاد فيما أقول .. لو أردتم سلطة فتح الشواطىء خذوها ، ولكن خذوا معها المسئولية كاملة .

ــ ماذا تعنى ؟

ــ أعنى أنه مادمت رئيس الشرطة هنا ، والمسئول عن أمن المواطنين ، فلن يُفتح الشاطىء ، قبل حسم الأمر تمامًا .

ــ اسمع يا (مارتن) ، لو لم تصدر قرارك بفتح الشواطىء ، فلن تبقى رئيسًا للشرطة فى هذه المدينة ، بل لن تجد حتى وظيفة ساع فى مكتب البريد ، وسيسعى أهل هذه المدينة لطردك منها شر طردة .. هل توافقوننى أيها السادة ؟

وافقه الجميع فى حزم وحماس ، ولكن (برودى) قال فى بساطة :

ــ لن يعنينى هذا الأمر يا سادة .

كان من الواضح أنهم لن يتوقَّفوا عند هذا الحد ، لولا أن ارتفع رنين الهاتف فوق مكتب (فوجان) ، الذى التقط سماعة الهاتف ، وقال فى حدة :

ــ قلت أننا لا نريد إزعاجًا .

ثم صمت لحظات ، استمع خلالها فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ــ هذه المكالمة لك يا (برودى) .

نهض (برودى) ، قائلًا فى حزم :

ــ سأتحدَّث فى الهاتف الخارجى .

غادر قاعة الاجتماعات فى خطوات سريعة ، والتقط سمّاعة الهاتف الخارجى ، وفى نفس اللحظة رفع (فوجان) سمّاعة هاتف مكتبه ، ووضعها على أذنه ، غير مبال بأعضاء المجلس المنتخب ، الذين تجاهلوا هذا الموقف الصريح ، دون أن يحاول أحدهم منعه من التصنّت على مكالمة (برودى) ، حتى (هوبر) ، الذى رأى أن شئون (أميتى) الداخلية لا تعنيه ، فلاذ بالصمت بدوره ، فى حين تلقّى (برودى) محادثة (ميدوز) ، الذى قال فى سرعة ، ولهجة تشفّ عن خطورة ما لديه :

— أنا (هارى) يا (مارتن) .. استمع إلىّ جيدًا ، فأنا أعلم ضرورة عودتك إلى الاجتماع ، وسأختصر بقدر الإمكان .. إن (لارى فوجان) فى مأزق حرج ، فهو مدين بمبلغ كبير لرجل مهم ، وهذا يعود إلى فترة طويلة ، فمنذ حوالى خمسة وعشرين عامًا ، مرضت زوجة (لارى) مرضًا شديدًا ، ولم يكن (لارى) يملك المال بعد ، وكان يحتاج إلى المال بشدة ، فأقرضه إياه رجل يدعى (تينو روسو) .

— وما صلة هذا بما نحن فيه ؟

— سأخبرك ، فمنذ بضعة أشهر ، وقبل أن يبدأ موضوع

القرش هذا ، تم تكوين شركة باسم (كاسكاتا ايستيت) ، دون رأس مال عينى ، ولكن هذه الشركة تبتاع كل الأراضى المحيطة بنا ، منذ فترة طويلة ، ولقد تضاعفت سرعة شرائها للأراضى ، مع ظهور القرش ، وكساد الأعمال ، إذ هبطت الأسعار هبوطًا ، لم يحدث منذ الحرب العالمية الثانية ، وكل شيكات الشراء تحمل توقيع (لارى فوجان) ، كرئيس لشركة (كاسكاتا) ، أما نائب الرئيس فهو (تينو روسو) ، الذى كتبت عنه (التايمز) ، مشيرة إلى أنه زعيم إحدى أسر (المافيا) الخمس فى (نيويورك) .

— يا للعين !! .. ولكن لماذا يسعى لفتح الشاطئ ؟ ما الفائدة التى تعود إليه بذلك ؟

— يبدو أنه قد أنفق كل ما لديه على شراء الأراضى ، والسبيل الوحيد لعدم إفلاسه هو أن ترتفع الأسعار مرة أخرى ، ليبدأ فى جنى الأرباح ، ببيع ما اشتراه من أراض ، خاصة وانه لم يدفع ثمن كل الأراضى نقدًا ، وإنما دفع مقدمات أثمانها فقط ، والباقى بشيكات مؤجّلة ، ولو لم ترتفع الأسعار فلن يمكنه سداد الشيكات ، وسيفلس هو و(روسو) ، وأعتقد أنه من الصعب على رجل مثل (روسو) قبول هذا ،

والسبيل الوحيد لمنع هذه الكارثة ، هو أن ينجح (فوجان) فى فتح الشاطىء ، قبل الرابع من يوليو ، فترتفع الأسعار ، وينجح (فوجان) فى بيع ما لديه ، ويحصل (روسو) على نصيبه ، وهو النصف تقريبًا ، أما لو قتل القرش شخصًا آخر فستكون نهاية (فوجان) ، و ....

قاطعهما فجأة صوت (فوجان) ، وهو يصرخ عبر الهاتف :

— أنت كاذب يا (هارى) ، ولو نشرت كلمة واحدة من هذا سأقاضيك حتى الموت .

ثم ألقى السمّاعة فى عنف ، فقال (ميدوز) فى غضب :

— أهذه هى نزاهة محافظنا ؟

تجاهل (برودى) ما حدث ، وسأل (ميدوز) فى اهتمام :

— وماذا ستفعل يا (هارى) ؟.. هل تنشر هذا ؟

— ليس الآن ، فلست أملك أية أدلة أو وثائق .

— ولكن لديك معلومات كافية .

— المعلومات لا تكفى يا (مارتن) .

— وماذا عن أعضاء المجلس ؟.. هل يشاركونه قذارته ؟

— لا .. إنهم فقط يدينون له بخدمات سابقة ..

— و (هوبر) ؟.. إنه أيضًا يطالب بفتح الشاطىء .

— لست أظن (هوبر) يعلم شيئًا ، فأنا نفسى لم أحصل على هذه المعلومات إلا منذ قليل .. المهم ماذا تنوى أنت أن تفعل ؟

— لقد استقلت تقريبًا ، فلقد قلت لهم : إنهم يستطيعون أخذ وظيفتى لو أرادوا .

— لا .. لا تستقل ، فنحن فى حاجة إليك ، ولو استقلت سيأتون بآخر يحتلّ منصبك ، ويتنازل عن نزاهته مقابل بضع دولارات .

— ماذا أفعل إذن ؟

— لو كنت مكانك لفتحت الشواطىء .

— ماذا تعنى يا (هارى) ؟.. إن هذا ما يريدونه .

— ولديهم قرار خبير ، وهذا يُخلى مسئوليتك ، ومادمت ستضطر حتمًا إلى فتح الشاطىء ، ان عاجلًا أو آجلًا ، فافعل هذا الآن .

— مستحيل يا (هارى) .. سأساعدهم بهذا على الحصول على الأرباح ، والفرار .

— إنهم سيحصلون عليها ، سواء فتحت الشواطىء ، أو

أزاحوك عن طريقهم ، على الأقل يمكن للمدينة أن تنتعش ، لو فتحت الشواطئ ، أما لو لم تفعل ، فربما خسرنا كل شىء . بما فى ذلك أنت .

— حسنًا يا (هارى) ، سأفكر فى الأمر ، ولو كنت سأفتح الشواطئ ، فسأفعل هذا بطريقتى .. شكرًا لمكالمتك على أى حال .

أنهى المحادثة ، وعاد إلى قاعة الاجتماعات . وكان (فوجان) يوليه ظهره ، وهو يقف أمام النافذة . ولم يكد يشعر بدخوله ، حتى استدار إليه ، قائلاً فى صرامة :

— انتهى الاجتماع .

نهض أعضاء المجلس فى ارتباك . يوحى بأن عبارة (فوجان) قد صدمتهم ، تمامًا كما صدمت (برودى) ، ولكنهم غادروا المكان فى صمت ، ومعهم (هوبر) . فى حين بقى (برودى) يواجه (فوجان) الذى انتظر حتى خلا المكان ، إلا منه ومن (برودى) . فقال فى توتر :

— كنا دائما أصدقاء يا (مارتن) ، وأتعشم أن نظل كذلك .

— ما مدى صحة ما قاله (ميدوز) ؟

— هذا شأنى وحدى يا (مارتن) ، ولا أستطيع التحدث عنه .. كل ما يمكننى قوله هو أن رجلاً قدم لى صنيعًا فى الماضى ، ويطالبنى الآن برده .

— إذن فكل ما قاله صحيح .

بدت عينا (فوجان) مبللتين بالدموع ، وهو يقول :

— أقسم لك إننى لم أكن أتصور أن الأمر سيبلغ هذا الحد يا (مارتن) .. لقد كان المبلغ كله هو عشرة آلاف دولار ، ولقد حاولت رده مرتين ، ولكنهم رفضوا بإصرار ، مؤكدين أنه مجرد هدية ، إلا أنهم لم يعيدوا إلىّ الإيصال الخاص بالنقود ، والآن يطالبوننى بدفع ما أنا مدين به ، ولقد عرضت مائة ألف دولار ، ولكنهم رفضوا ، وطالبونى بتسهيل بعض الاستثمارات ، مقابل هذا .

— وبكم تدين لهم الآن ؟

— ربما مليون أو مليونين .. أو حتى كل ما أملك .. هل يمكنك مساعدتى يا (مارتن) ؟

— الوسيلة الوحيدة ، التى يمكننى مساعدتك بها ، هى الاتصال بالنائب العام ، وشرح الأمر كله له ، ويمكنك أن تدلى بشهادتك ، ضد هؤلاء الأوغاد ، لتتخلص منهم

— سيقتلوننى قبل أن أعود إلى منزلى .

تطلّع إليه (برودى) فى إشفاق ، وتساءل فى أعماقه عن سر إصراره على عدم فتح الشاطىء .. أهى عقدة ذنب ، أم خوف من سقوط ضحية جديدة ؟..

.. وتنهّد (برودى) ، قبل أن يقول :

— حسنًا يا (لارى) ، سأفتح الشواطىء .. ليس لمساعدتك ، ولكن لأننى واثق من أننى لو لم أفعل ، لوجدت أنت وسيلة أخرى لفتحها .

هتف (فوجان) :

— شكرًا يا (مارتن) .. شكرًا جزيلًا .

قال (برودى) فى صرامة :

— مهلًا يا (لارى) ، أنا لم أنته من كلامى بعد .. صحيح أننى سأفتح الشواطىء ، ولكننى سأتأكد من أن كل شخص يسبح يدرك احتمال وجود خطر .

— لا يمكنك فعل هذا ، فهو مثل إغلاق الشواطىء تمامًا .

— بل يمكننى ، وهذا ما سأفعله .

— ماذا ؟.. هل ستضع لافتات تحذيرية ، أم تنشر إعلانًا فى الصحف ، تقول فيه : إن الشاطىء مفتوح ، ولكن حذار أن تقربوه ؟

— لست أدرى بالضبط ما سأفعله يا (لارى) ، ولكن لا يمكننى أن أتصرّف كما لو أن شيئًا لم يحدث من قبل .

زفر (فوجان) ، وقال :

— افعل ما يحلو لك يا (مارتن) ، ولكن حاول أن تتصرّف بتعقّل .. ليس من أجلى ، ولكن من أجل المدينة .

قال (برودى) فى صرامة :

— نعم يا (لارى) سأفعله من أجل المدينة .

ثم غادر القاعة فى حدة ، وصفق بابها خلفه فى عنف ، دون أن يدرى ، إذا كان قراره هذا سينعش المدينة ، أم ...

.. أم سيقتله هو .

* * *

٨ ــ الخطر ..

منذ الساعات الأولى من صباح الرابع من يوليو ، بدا من الواضح أن القلق ما يزال يسود كل النفوس ، فعلى الرغم من الجو الصحو ، والشمس الساطعة ، وعشرات المصطافين ، الذين يملئون الشاطئ ، فإن أحدا لم يجرؤ على الاقتراب من الماء ، فيما عدا طفلين ، سمح لهما والداهما بتبليل أقدامهما فقط ، ثم لم تلبث الأم ، بدافع الخوف أو الملل ، أن طلبت منهما العودة إلى الشاطئ ، وظلّ الموقف ساكنا على هذا النحو ، حتى الثانية عشرة ظهرا ، فاتصل (برودى) بـ (هندريكس) لاسلكيًا ، وسأله :

ــ كيف الحال عندك ؟

أجابه (هندريكس) :

ــ إننا نسيطر على الموقف تماما ، ولكننى لم أعد أفهم طبيعة هؤلاء البشر ، هل تصدّق أن بعضهم قد جمع أولاده ، وجاء إلى هنا لمشاهدة القرش ، كما لو كان فقرة من فقرات

سيرك متجوّل ؟!.. بل لقد استغلّ أحد المحتالين الموقف ، وباع للعشرات تذاكر دخول الشاطئ ، مكتوب عليها اسم (شاطئ القرش) ، والجميع يصابون بالغضب ، عندما أخبرهم أنهم يستطيعون دخول الشاطئ بدون رسوم .

قال (برودى) فى غضب :

ــ أرسل أحد رجالنا للبحث عن ذلك المحتال ، وإلقاء القبض عليه .. هل من مشاكل أخرى ؟

ــ لا يا سيّدى .. هناك فقط بعض الأشخاص ، من (التليفزيون) ، ومعهم وحدة تصوير متنقّلة ، يلتقون ببعض المصطافين .

ــ بشأن ماذا ؟

ــ إنهم يسألونهم عما إذا كانوا يخشون السباحة أم لا .

ــ ومنذ متى يلتقون بالمصطافين ؟

ــ منذ الصباح ، ويبدو أنهم سيبقون وقتا طويلًا ، فلم يجرؤ شخص واحد على السباحة بعد .

ــ لا بأس يا (هندريكس) ، فليبقوا ، مادامــوا لا يسببون أية مشكلات .

أنهى اتصاله مع (هندريكس) عند هذا الحد ، وانتظر

لحظات ، ثم اتصل بـ (هوبر) على ظهر قارب (بن) ،
ولكن (هوبر) لم يجب على الفور ، فشعر (برودى) بالقلق ، وغمغم :

— ماذا حدث ؟.. تُرى هل ستحمل قائمة ضحايا القرش اسم (مات هوبر) ، أم ...

قاطعه فجأة صوت (هوبر) ، عبر جهاز اللاسلكى ، يلهث قائلاً :

— معذرة .. لقد تأخرت فى الجواب ؛ لأننى كنت فى مؤخرة القارب ، وتصوَّرت أننى قد رأيت شيئًا .

جذب هذا القول انتباه (برودى) فى شدة ، فسأله فى اهتمام بالغ :

— رأيت ماذا ؟

— لا شىء .. أعتقد أنه لا شىء .. مجرَّد خداع نظر .

— وكيف بدا لك خداع النظر هذا ؟

— ليس شيئًا محدودًا ، بل مجرَّد خيال أو انعكاس لأشعة الشمس .. لا تهتمّ كثيرًا ، سأكون أمام الشاطئ ، بعد دقيقة أو دقيقتين .

أنهى (برودى) هذا الاتصال أيضًا ، ووضع جهاز

اللاسلكى فى كيس صغير من البلاستيك ، وتناول شطيرة ، راح يلتهمها فى بطء ، وهو يراقب الشاطىء ، ومرّ به الوقت بطيئًا للغاية ، حتى أشارت عقارب الساعة إلى الثانية والنصف ، وخلا الشاطئ تقريبًا من المصطافين ، وكاد الملل يلتهم أعصابه التهامًا ، عندما توقَّفت إلى جواره سيارة بيضاء ، تحمل بحروف سوداء كبيرة عبارة (أخبار التليفزيون) ، وهبط منها رجل ، اتجه نحوه مباشرة ، وسأله :

— أأنت الرئيس (برودى)؟.. أنا (بوب ميدلتون) ، من القناة الرابعة .

أدرك (برودى) لماذا بدا له وجه الشاب مألوفًا ، فقال :

— مرحبًا بك فى (أميتى) يا (بوب) .. ما الذى يمكننى تقديمه لك ؟

— حديث عن القرش ، وعن قرارك بإعادة فتح الشواطىء .

— لا بأس ، وأين تحب إجراء هذا الحديث ؟

— تحت .. عند الشاطىء .. سأحضر فريق العمل ، وسنستغرق بضع دقائق لإعداد كل شىء ، وسأخبرك عندما نستعد .

— فليكن .. سأنتظر .

ترك رجال (التليفزيون) يستعدون لإجراء الحوار ، وهبط يسير قليلًا على الشاطىء ، وعندما اقترب من بعض الشبان ، سمع أحدهم يقول :

— ما رأيكم .. ألدى أحدكم الشجاعة لفعل هذا ؟.. سأدفع عشرة دولارات لمن يجرؤ على فعله .

اعترضت إحدى الفتيات ، قائلة :

— كفى يا (لمبو) .

وأدرك (برودى) بحاسة الشرطى فى أعماقــه ، أنهم يتحدثون عن أمر خاص بالقرش ، فتوقف على مقربة منهم ، وتظاهر بأنه لا يستمع إليهم ، ولكنه أرهف سمعه جيدًا ، ليسمع (لمبو) هذا يقول :

— ولم لا ؟. إنه عرض جيد ، مادمتم تؤكدون أن ذلك القرش قد رحل .

قال صبى آخر فى حدة :

— ولماذا لا تسبح أنت يا (لمبو) ؟

قال (لمبو) :

— لأننى صاحب العرض ، ولا أحد منكم سيمنحنى عشرة دولارات لو فعلت .

— مضت لحظات صمت ، قبل أن يقول أحدهم فى حذر :

— عشرة دولارات نقدًا ؟

أخرج (لمبو) من جيبه ورقة مالية ، من فئة الدولارات العشرة ، ولوّح بها قائلًا :

— ها هى ذى .

سأله الفتى فى اهتمام :

— وإلى أية مسافة ينبغى أن أسبح ، لأحصل على هذه الورقة ؟

ابتسم (لمبو) قائلًا :

— مائة ياردة فقط .

سأله الفتى محتجًا :

— وكيف يمكننى تقدير هذه المسافة ؟

أجابه (لمبو) :

— بالتقريب .. اسبح فترة ، ثم توقف ، وسأشير إليك بالعودة ، لو كنت قد بلغت المسافة المطلوبة .

نهض الفتى قائلًا :

— موافق .

هتفت الفتاة :



أخرج (لمبو) من جيبه ورقة مالية ، من فئة الدولارات العشرة ، ولوّح بها قائلاً : ــ ها هى ذى ..

ــ هل جننت يا (جيمى) ؟.. لماذا تفعل هذا ؟.. إنك لست محتاجًا إلى هذه الدولارات العشرة !!

لوّح الفتى بكفه ، وهو يتجه إلى الماء فى حماس ، هاتفًا :

ــ إنه اختبار شجاعة يا فتاتى .

شعر (برودى) بالقلق ، وهو يتابع الصبى ، الذى خاض الماء بحركة أقرب إلى العدو ، ثم لم يلبث أن ألقى جسده وسط الأمواج ، وراح يسبح مبتعدا عن الشاطىء .

.. كان هذا يبعث فى نفسه شعورًا مبهمًا بالخوف ، ربما يعود إلى مخاوف طفولته عن البحر ، أو إلى الأحــداث الســابقة ، أو ..

.. قاطعه فجأة هتاف من خلفه :

ــ عد أيها الصبى .. عد .

توترت أعصابه كلها ، وهو يلتفت فى حركة سريعة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على (بوب ميدلتون) ، وهو يعدو نحو الشاطىء ، ملوِّحًا للصبى بيده ، فسأله فى توتر :

ــ ماذا حدث ؟.. هل رأيت شيئًا ؟

أجابه (ميدلتون) :

ــ لا ، ولكن هذا الشاب هو أوّل من يسبح اليــوم ، ونريد إجراء حديث معه .

لعن (برودى) فى أعماقه هذا الأسلوب المستهتر غير المسئول ، ووقف ساكنًا ، يراقب الصبى ، الذى عاد إلى الشاطئ ، وابتسامة ضخمة تملأ وجهه ، وهو يستمع إلى تعليمات (ميدلتون) ، حول ما ينبغى قوله وفعله ، أمام عدسات (التليفزيون) ، حتى انتهى (ميدلتون) من حديثه ، قائلًا :

— ومع نهاية الحديث انطلق إلى البحر ، واسبح على الفور .. هل تفهم هذا ؟

أجابه الشاب فى حماس :

— بالطبع .

راح (ميدلتون) يجرى حديثه مع الشاب ، فى حين انتبه (برودى) فجأة إلى أن صوت قارب (بن) قد ارتفع فجأة ، فالتفت إلى البحر يتطلّع إليه ، وبدا له سرعته أكبر من المعتاد بالفعل ، فأخرج جهاز الاتصال اللاسلكى ، واتصل بـ (هوبر) ، وسأله فى قلق :

— أهناك جديد يا (هوبر) ؟

أجابه (هوبر) ، وصوته يحمل هذه المرة رنة قلق واضحة :

— إنه ذلك الظلّ مرة أخرى يا (مارتن) ، ولكننى لست واثقًا من ماهيته .

كان (ميدلتون) قد انتهى من حديثه مع الصبى — فى أثناء ذلك — واندفع الصبى إلى البحر ، فهتف به (برودى) :

— عد أيها الصبى .. عد .

ولكن الصبى ظلّ يسبح إلى الداخل ، فى حين اتجه (ميدلتون) إلى (برودى) ، يسأله :

— هل استجدّ جديد ؟

تجاهله (برودى) ، وهو يرفع جهاز الاتصال إلى فمه ، قائلًا :

— هناك صبى يسبح يا (هوبر) ، على بعد ثلاثين أو أربعين ياردة .

لم يزد (هوبر) عن قوله :

— يا إلهى !

ثم انطلق نحو الصبى ..

وهناك ، فى الأعماق ، تحت قارب (بن) ، كانت السمكة الرهيبة تتابع صوت محرّك القارب منذ فترة طويلة ، وتصعد أحيانًا لمراقبته ، فى محاولة لتقييمه ، دون أن تهاجمه ، أو ترحل مبتعدة ، ثم لم تلبث أن لاحظت اختلاف الصوت ، عندما انطلق (هوبر) بالقارب نحو الفتى ، فاستدارت فى

نعومة ، وانطلقت تتبعه كالطائرة ..

.. أما الصبى ، فقد توقَّف عن السباحة ، وتطلَّع إلى الشاطىء ، ورأى (برودى) يشير إليه بالعودة ، فابتسم الصبى فى ظفر ، وأدرك أنه قد ربح الرهان ، فبدأ يسبح عائدًا إلى الشاطىء ، فى حين بدأت عيون بقية المصطافين تتابعه فى شغف وقلق واهتمام ، واقترب منه (هوبر) بالقارب ، ثم توقَّف على قيد أمتار منه ، خشية بلوغ منطقة الرمال الضحلة ، فتوقَّف الصبى عن السباحة بدوره ، ورفع رأسه يقول :

ـ ماذا حدث ؟

هتف به (هوبر) :

ـ لا شىء .. فقط واصل السباحة .. هيا .

عاد الصبى يسبح فى قوة ، وشعر بموجة من خلفه تدفعه إلى الأمام ، ثم لم يلبث أن وقف على رمال القاع ، وبلغ الماء كتفيه فحسب ، فأخذ (برودى) يصيح :

ـ تعال بسرعة .. تعال .

قال الصبى فى ضجر :

ـ حسنًا .. أنا قادم .

كان (هوبر) فى هذه اللحظة يدير القارب ، عائدًا إلى المنطقة العميقة ، عندما لمح خطًّا فضيًّا يتحرَّك فى المياه الزرقاء ، كما لو كان جزءًا من حركة الأمواج ، ثم لم يلبث أن أدرك طبيعته ، فصرخ :

ـ التقطوا ما يحدث .. لا تضيّعوا لحظة واحدة منه .

بدأ الصبى يتحرَّك أسرع ، ولم ينتبه إلى تلك الزعنفة الهائلة ، التى ارتفعت فوق سطح الماء خلفه ، كسلاح رمادى حاد ، ولكن الجميع على الشاطىء رأوها ، فارتفعت عدة شهقات ، وهتف (ميدلتون) :

ـ ها هو ذا يا (والتر) .. هل تراه ؟. هل التقطت صورته ؟

أجابه المصوِّر فى حماس :

ـ نعم .. إنه واضح تمامًا ، فأنا استخدم عدسة التقريب .

أما (برودى) فقد اندفع داخل الماء ، ومدّ يده إلى الصبى صائحًا :

ـ أعطنى يدك .. أسرع .

كان الصبى فزعًا ملتاعًا ، ولم تكد أصابعه تلمس يد (برودى) ، حتى تشبَّث بها فى قوة ، فجذبه (برودى) إليه ، وضمه إلى صدره ، وخرجا من الماء يهرولان ، فى حين

انخفضت الزعنفة الضخمة ، وغاصت السمكة فى الأعماق ، وراح الصبى يهتف مرتجفًا :

ــ أريد أن أعود إلى منزلى .

ربَّت (برودى) على ظهره ، وهو يغمغم :

ــ ستعود بالطبع .. ستعود .

أما (ميدلتون) ، فقد اندفع نحو (برودى) ، وسأله :

ــ هل يمكنك إعادة هذا ؟

سأله (برودى) فى دهشة :

ــ إعادة ماذا ؟

أجابه فى جدية :

ــ ما قلته للفتى .. هل يمكنك إعادة قوله ؟

صرخ فيه (برودى) :

ــ أغرب عن وجهى .

ثم اتجه بالصبى إلى زملائه ، وقال لـ (لمبو) فى صرامة :

ــ أعد هذا الصبى إلى منزله ، وأعطه دولاراته العشرة ، فقد ربحها عن جدارة .

أومأ (لمبو) برأسه فى شحوب ، فى حين التقط (برودى) جهاز الاتصال اللاسلكى ، وضغط أحد أزراره ، قائلًا :

ــ (هندريكس) .. هل تسمعنى ؟

ــ نعم يا سيِّدى ... اسمعك جيِّدًا .. ماذا هناك ؟

ــ تلك السمكة كانت هنا يا (هندريكس) .. لو كان عندك من يسبح فى الماء ، فاخرجه على الفور ، وامنع أى مخلوق من الاقتراب من الشاطئ ، فالشاطئ مغلق رسميًا ، منذ هذه اللحظة .

ــ سأنفذ الأمر على الفور يا سيِّدى ، هل أصيب أحد عندك ؟

ــ لا لحسن الحظ ، ولكننا كنا على وشك ذلك .

ــ حمدًا لله يا سيِّدى الرئيس .. حمدًا لله .

انتهى الاتصال ، فاتجه (ميدلتون) إلى (برودى) ، وقال فى لهفة :

ــ هل يمكننا إجراء الحديث الآن ؟

ــ لماذا ؟.. لقد رأيت ما حدث مثلى تمامًا .

ــ سألقى عليك سؤالين فحسب .

تنهَّد (برودى) فى ضجر ، وعاد مع (ميدلتون) إلى حيث يقف فريق العاملين ، وقال لهذا الأخير :

ــ حسنًا .. هات ما لديك .

ـ بالنسبة للصبى .. هل تظن أنه كان حسن الحظ ؟
ـ بالتأكيد ، فقد كان من الممكن أن يلقى مصرعه .
ـ أتظن أنه نفس القرش ؟
ـ لست أدرى .. أظنه هو .
ـ ماذا ستفعل إذن ؟
ـ سأغلق الشواطئ .. هذا كل ما يمكننى عمله الآن .
ـ إذن فأنت تُعلن أنه من الخطر السباحة الآن فى (أميتى) .
ـ نعم .. أنا أعلن هذا رسميًا .
ـ وماذا يعنى هذا بالنسبة لـ (أميتى) ؟
ـ مشكلة يا مستر (ميدلتون) .. مشكلة خطيرة .
ـ ولكن بم تشعر الآن ، بالنسبة لموقفك السابق ، وقرارك بإعادة فتح الشواطئ ؟
ـ من حسن الحظ أن هذا لم يتسبّب فى إيذاء أحد ، وهذا يكفى .
ـ هذا عظيم أيها الرئيس (برودى) .. شكرًا لك .
ولم يكد المصوِّر (والتر) يغلق آلة التصوير ، حتى تلاشت ابتسامة (ميدلتون) ، وقال فى سرعة :

ـ لقد اكتمل الموضوع يا (والتر) .. هيا نراجع كل شىء .
وتركهما (برودى) ينصرفان مع فريق (التليفزيون) دون تعليق ، فقد كان عقله مشغولاً بالقضية الأساسية ..
.. قضية القرش ..

* * *

« لا يمكننى الجزم بأنه نفس القرش »
نطق (مات هوبر) هذه العبارة فى تردّد ، وهو يقف أمام (برودى) و (ميدوز) ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، واستطرد :
ـ إننى لم أر السمكة جيِّدًا اليوم ، ولا أستطيع مقارنتها بأى شىء آخر ، ولكن الاحتمال الأكبر أنها نفس السمكة ، فليس من المعقول أن يتواجد قرشان من آكل لحوم البشر عند شاطىء (أميتى) ، فى وقت واحد .
مطّ (ميدوز) شفتيه ، وكأنما لم يرق له هذا الجواب المتردِّد ، ثم التفت إلى (برودى) ، يسأله :
ـ هل ستكتفى بإغلاق الشواطىء ؟
ـ وماذا يمكننى أن أفعل أيضًا ؟ لقد كنت أفضّل أن يهاجمنا إعصار أو زلزال .. على الأقل ستكون له نهاية ، أما هذا

فهو أشبه بمواجهة قاتل مجنون ، يقتل من يحلو له ، فى الوقت الذى يحلو له ، وأنت تعرف من هو ، ولكنك لا تفهم لماذا يفعل هذا ، ولا تستطيع حتى الإمساك به أو إيقافه .

— هل تذكر قول (مينى الدريدج) ؟

— نعم .. لقد بدأت أعتقد أنها على حق .

— ولكن هذا لا يمنعنا من المحاولة .

— محاولة ماذا ؟

— محاولة اصطياده مثلاً .

ران الصمت لحظة ، بعد قول (ميدوز) الأخير ، ثم قال (هوبر) :

— نعم .. يمكننا أن نحاول ذلك ، لو كانت لدينا المعدات اللازمة ، فنلقى الطعم ، و....

قاطعه (برودى) فى أسى :

— أظن (بن جاردنر) يمكنه إخبارك عن مدى نجاح هذه الوسيلة .

قال (ميدوز) فى حزم :

— هناك شخص يفوق (جاردنر) فى هذا المجال .

سأله (برودى) فى اهتمام :

— من هو ؟

كان صوت (ميدوز) قويًا ، وهو يقول :

— كوينت .

ولاح بصيص من الأمل ، فى أعماق (برودى) .

* * *

٩ ــ (كوينت) ..

« مستر (كوينت) .. أنا (مارتن برودى) ، رئيس شرطة (أميتى) ، ولدينا هنا مشكلة عويصة » .

نطق (برودى) هذه الكلمات عبر الهاتف فى تردد ، وأتاه صوت (كوينت) يقول فى مزيج عجيب من العمق والهدوء :

ــ لقد سمعت عنها .

التقط (برودى) أنفاسه ، وازدرد لعابه ، قبل أن يقول :

ــ كان القرش هنا اليوم أيضًا .

ــ هل أصيب أحد ؟

ــ لا ، ولكنه كاد يقتل أحد الصبية .

ــ سمكة بهذا الحجم ، تحتاج حتمًا إلى الكثير من الطعام .

ــ هل رأيتها ؟

ــ لا .. لقد بحثت عنها مرتين ، ولكننى لم أستطع قضاء وقتى كله فى البحث ، فلدى عمل .

ــ كيف عرفت حجمها إذن ؟

ــ لقد سمعت ما يقال عنها ، وقمت بتقدير هذا .. لابد أن تكون بالغة الضخامة .

ــ وهل يمكنك مساعدتنا ؟

ــ لقد كنت أتوقَّع أن تطلبنى .

ــ هل يمكنك هذا ؟

ــ هذا يتوقَّف على استعدادك للإنفاق .

ــ سندفع لك القيمة المتعارف عليها يا مستر (كوينت) ، و ..

ــ هذا لا يصلح ، فهذه مهمة خاصة .

ــ ماذا تعنى ؟

ــ أعنى أن أجرى فى اليوم الواحد مائتى دولار ، ولكن فى هذه الحالة الخاصة ستدفعون الضعف .

ــ هذا غير ممكن .

ــ وداعًا إذن ..

كان أسلوبه فجًا عنيفًا ، ولكن (برودى) كان يحتاج إليه فى شدة ؛ لذا فقد هتف به :

ــ انتظر يا رجل .. لماذا لا نتفاهم ؟

أجابه (كوينت) ، فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ ليس لديك سبيل آخر .

قال (برودى) فى حدة :

ــ من قال هذا ؟.. هناك صيادون آخرون .

ــ سمعه (كوينت) يضحك ضحكة قصيرة غريبة جافة ، قبل أن يقول :

ــ بالطبع .. ولقد سبق لك أن أرسلت واحدًا .. ارسل آخر ، أو حتى نصف دستة ، وسأنتظر حتى تلجأ إلىَّ فى النهاية ، وعندئذ سيتضاعف المبلغ أكثر .

صمت (برودى) لحظة ، ثم قال :

ــ إننى لا أطالبك بمعاملة خاصة ، فأنت تعمل لتعيش ، ولكن هذه السمكة تقتل الناس ، وأنا أريد مساعدتك للتخلّص منها ، فتعامل معى كما تتعامل مع زبائنك العاديين على الأقل .

ــ لا تحاول التأثير على مشاعرى .. إنك تريد قتل السمكة ، وأنا سأبذل قصارى جهدى من أجل هذا ، مقابل أربعمائة دولار فى اليوم الواحد .

ــ وهل سيمنحنى المجلس هذا المبلغ ؟

ــ حاول أن تقنعهم .

ــ لقد اتصل بى المحافظ (لارى فوجان) نفسه ، وهو منهار ، و ...

ــ هذا شأنك وحدك .

ــ حسنًا .. وكم سيستغرق هذا الأمر ؟

ــ يوم .. أسبوع .. شهر .. من يدرى ؟.. ربما رحلت السمكة من تلقاء نفسها .

ــ ليت هذا يحدث .. لا بأس يا (كوينت) .. ليس أمامى سوى الموافقة .

ــ فليكن ، ولكننى أحتاج إلى رجل لمساعدتى ، فلقد فقدت زميلى ، ولا يمكننى الخروج وحدى ، لاصطياد مثل هذه السمكة .

ــ وكيف فقدت زميلك ؟

ــ ترك العمل ، بعد إصابته بانهيار عصبى .. هذا يحدث كثيرًا للعاملين فى مجال الصيد .

ــ ولماذا لم يحدث لك ؟

ــ ربما لأننى أذكى من الأسماك .

ــ أهذا يكفى ؟

— إننى حى على الأقل .. المهم .. ألديك من يساعدنى ؟

— إننى مستعد .

لم يكد ينطقها حتى شعر بندم شديد ، مع تلك الارتجافة التى سرت فى جسده ، بمجرّد القول ، وشعر بالحنق من نفسه ؛ بسبب لجوئه إلى (كوينت) هذا ، ولكن (كوينت) لم يمنحه فرصة التفكير ، وإنما سأله :

— هل تعرف الصيد ؟

أجابه متوترًا :

— لا .

— ولا السباحة ؟

— وما شأن السباحة بالأمر ؟

— عندما يسقط شخص ما فى الماء ، فتحويل القارب إليه يستغرق وقتًا ، ما لم يكن يجيد السباحة ، إلى الحد الكافى لبلوغ الزورق .

— لا تقلقْ بهذا الشأن .

— فليكن ، ولكننى سأحتاج إلى شخص آخر ، لديه دراية بالصيد ، أو على الأقل بالقوارب .

تطلّع (برودى) إلى (هوبر) ، ثم وضع يده على سمّاعة الهاتف ، وسأله :

— هل ترغب فى المشاركة فى هذه العملية ؟

قال (هوبر) :

— إنها عملية غير مدروسة ، وليس لديه زميل ، و ..

قاطعه فى حزم :

— هل تحب الذهاب أم لا ؟

تنهدَّ (هوبر) ، وقال :

— ربما كانت هذه أكبر حماقة أرتكبها فى حياتى ، ولكن نعم .. سأذهب معكما ، فلن أترك فرصة رؤية تلك السمكة تفوتنى .

أبلغ (برودى) (كوينت) بموافقة (هوبر) ، فقال (كوينت) :

— عظيم .. سأنتظركما عند المرفأ الخاص بى ، أمام قاربى (أوركا) ، فى السادسة من صباح الاثنين ، وأحضرا معكما الطعام اللازم ، والنقود ، وستسلمنى النقود نقدًا يومًا بيوم .

— لماذا ؟

— قد تسقط من القارب ، ولست أحب أن تغرق حاملًا نقودى .

لم يرق هذا الأسلوب أبدًا لـ (برودى) ، ولكنه لم يعترض ، وإنما أنهى الاتصال ، ورفع رأسه إلى (هوبر) ، قائلًا :

ــ السادسة من صباح الاثنين .

هزّ (هوبر) رأسه موافقًا ، فى حين قال (ميدوز) :

ــ هل أفهم من هذا أنك سترافقهما يا (مارتن) .

أومأ (برودى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ إنه جزء من عملى يا (هارى) .

ــ لا أعتقد أنه كذلك .

ــ لقد اتفقنا على هذا ، على أية حال .

ــ لا بأس .. أتعشم إذن أن أراك مرة أخرى يا (مارتن) .

تنهّد (برودى) ، وقال :

ــ صدقنى يا (هارى) .. أنا أتمنى هذا أكثر منك .

لم يدرِ لماذا تذكُر (لارى فوجان) فى هذه اللحظة ، والدمار الذى حاق به ، من جراء إعادة إغلاق الشاطىء فأضاف :

ــ إنه القدر يا (هارى) .. قدرى ، وقدرنا جميعًا .

وانصرف دون أن يضيف حرفًا واحدًا ..

* * *

لم يتصوَّر (برودى) فى حياته كلها ، أنه يمكن أن يواجه يومًا موقفًا كهذا ، وهو يجلس فوق مقعد الصيد الدوار ، المثبت بمسامير سميكة ، فى سطح قارب (كوينت) ، ممسكًا قصبة صيد قوية ، وإلى جواره يجلس (هوبر) ، أمام عدة جرادل ممتلئة بالدم ومخلفات الأسماك ، يغترف منها كل فترة كمية ، يلقيها فى الماء الساكن كالزيت ، فى حين وقف (كوينت) بقامته الفارهة وعضلاته المفتولة ، ورأسه الأصلع ، عند جسر خاص ، يمتدّ من مقدّمة القارب ، يراقب سطح الماء فى انتباه كامل ، على الرغم من انعكاس الشمس على سطح الماء ، الذى يلهب عينى (برودى) ، إلى الحد الذى دفعه لأن يقول :

ــ ألا ترتدى منظارًا شمسيًا يا (كوينت) ؟

أجابه (كوينت) فى هدوء :

ــ مطلقًا .. إننى أحب رؤية الأشياء كما هى .. هذا أفضل .

ــ هل تمرّ عليك أيام كثيرة على هذه الوتيرة ؟

ــ أية وتيرة ؟

ــ أن تجلس طيلة النهار ، دون أن يحدث شىء .

ــ أحيانًا .

— وهل يدفع لك الناس ، حتى ولو لم يصطادوا شيئًا ؟

— هذا هو المتبع ، فمن المحتمل أن ..

بتر عبارته بغتة ، وحدّق فى الماء باهتمام بالغ ، قبل أن يقول فى حزم :

— لقد التقط شىء ما أحد الطعمين .

تطلّع (برودى) إلى سطح الماء فى اهتمام ، ولكن كل شىء بدا له طبيعيًا ، فغمغم :

— أين ؟

أجابه (كوينت) :

— انتظر وسترى .

بدأ سلك أحد الشصين ينجذب داخل الماء ، مصدرًا صوتًا معدنيًا خفيفًا فى بكرته ، جعل قلب (برودى) يرتجف ، وهو يقول :

— أهو القرش ؟

أجابه (كوينت) :

— يحتمل .. أمسك قصبة الصيد جيدًا ، وعندما أهتف بك قم بتحريك المكبح ، وصوّب عليه .

انتفض قلب (برودى) ، لفكرة المواجهة المباشرة مع

القرش ، فى حين هتف (كوينت) :

— الآن .

أطلق (برودى) العنان لبكرة الخيط ، ثم دفع ذراعًا صغيرة فى أعلاها ، ورأى قصبة الصيد تنثنى كالقوس ، وهبّ (هوبر) من موضعه ، هاتفًا :

— سأسحبها أنا .

هتف به (كوينت) فى غلظة :

— إياك أن تفعل .. ستنتزع الخطاف من فم السمكة لو فعلت .. لقد تصوّرت أنك على دراية بالصيد .

لم يجب (هوبر) ، وإنما عاد يجلس فى مكانه ، فى حين أمسك (برودى) قصبة الصيد فى قوة ، وراح يلفّ السلك فى بطء ، كما علمه (كوينت) ، وشعر بعضلاته تتصلّب من كثرة المجهود ، فسأل (كوينت) :

— أهو القرش ؟

ابتسم (كوينت) قائلًا :

— بل هو مجرّد تدريب صغير .. قرش أزرق ، لا يتعدّى وزنه مائة وخمسين رطلًا .. تعال .. انظر .

مشى (بوردى) إلى حافة القارب ، وتطلّع إلى القرش



أما (كوينت) ، فقد صوَّب بندقيته إلى رأس القرش ، وأطلق عليه ثلاث رصاصات سريعة ..

الأزرق الصغير ، الذى راح يسبح فى بطء حول القارب ، وسمع (هوبر) يقول :

ـ إنه رائع الجمال .. أليس كذلك ؟

أما (كوينت) ، فقد صوَّب بندقيته إلى رأس القرش ، وأطلق عليه ثلاث رصاصات سريعة ، فهتف (برودى) :

ـ لقد قتلته .

قال (كوينت) ، وهو يجذب السلك ، ليرفع القرش الصغير إلى الزورق :

ـ لا .. لقد أدرت رأسه قليلاً فحسب .

ثم أخرج خنجره ، وشقَّ به بطن القرش ، وعاد يلقيه فى الماء مرة أخرى ، فهتف (برودى) فى اشمئزاز :

ـ لماذا فعلت هذا ؟

أجابه (كوينت) فى سخرية :

ـ لتشاهد مشهدًا فريدًا ، من حياة وطبيعة القروش .

سقط القرش الصغير فى الماء ، وراح يتلوى ، وينقض على أحشائه ، ليلتهمها فى شراسة ، كما لو كانت أحشاء قرش آخر ، ثم امتلأت المياه فجأة بعدد هائل من القروش ، راحت تنهش جسد القرش المحتضر ، حتى أتت عليه فى لحظات ، ثم

اختفت بسرعة ، و (برودى) يراقب هذا المشهد فى ذهول ، فى حين تمتم (هوبر) :

— يا إلهى !

أجابه (هوبر) فى حدة :

— بالطبع .

أطلق (كوينت) ضحكة قصيرة ، ثم اتجه إلى صندوق الثلج ، وفتحه ، ووضع طعمًا آخر فى نهاية السلك ، ثم ألقاه فى الماء ، وعاد إلى الجسر فى صمت ، لم يلبث أن شملهم جميعًا ، إلى أن قال (برودى) فجأة :

— لو افترضنا أن القرش الأبيض الضخم قد جاء ، ماذا سنفعل مبدئيًا ؟

أجابه (كوينت) فى هدوء :

— سنحاول أن نثير اهتمامه ، ليبقى فترة طويلة ، ونهاجمه بالحراب ، وفى نهاية كل حربة برميل فارغ ، ثم نتركه يجهد نفسه ، والبرميل يجبره على البقاء قريبًا من السطح ، حتى ينهار ، فنقتله .

قال (هوبر) :

— هذا لو اقترب من القارب إلى حد كاف .

ابتسم (كوينت) وقال :

— لدى وسيلة أخرى .

ثم غادر الجسر ، واتجه نحو ثلاجة صغيرة ، على سطح القارب ، مستطردًا :

— إننى أحتفظ بطُعم خاص ، سيغرى حتى ملك القروش نفسه ، بالسقوط فى أيدينا .

وفتح الثلاجة ، ليخرج منها درفيلًا صغيرًا ميتًا ، ثُبِّتَ فى فمه خطاف كبير ، وقال :

— ما من قرش يمكنه أن يقاوم وجبة كهذه .

هتف (هوبر) :

— إنه مولود صغير .

غمز (كوينت) بعينه ، قائلًا :

— بل أفضل من هذا .. إنه لم يكن قد وُلِد بعد .. لقد انتزعته من بطن أمه .

قال (هوبر) فى عصبية .

— هل تعلم أن القانون يمنع اصطياد الدرافيل ؟

قال (كوينت) فى لا مبالاة :

— بالطبع .

ثم ألقى الدرفيل الصغير داخل الثلاجة مرة أخرى ، وأغلقها فى استهتار ، فهتف (هوبر) :

ـ لو أننى تقدّمت بشكوى رسمية ضدك ، ....

انقضّ عليه (كوينت) فجأة ، وقال فى صرامة :

ـ سيصبح صيد القرش أكثر سهولة .

ثم أضاف فى لهجة مخيفة :

ـ لأننى سأمنحه طعمًا أفضل من لحم الدرفيل .

ولم يعترض (هوبر) بعدها على أسلوب (كوينت) .. .. قط .

* * *

١٠ ـ المواجهة ..

لم يختلف اليوم الثانى كثيرًا عن اليوم الأوّل ، إذ بدا البحر ساكنًا كالزيت ، والتقط الطعم قرشًا أزرق آخر ، فعل به (كوينت) مثلما فعل بالقرش السابق ، ثم راح يؤدى بعض تدريبات الرماية ببندقيته ، على علب البيرة الفارغة ، حتى شعر (برودى) بالملل ، فتجاهل قصبة الصيد بدوره ، وراح يقرأ قصة بوليسية أحضرها معه هذه المرة ، حتى سمع (كوينت) يقول فى جذل :

ـ هناك سمكة (أبو سيف) تقترب .

مطّ (برودى) شفتيه ، وترك (كوينت) يحاور سمكة (أبو سيف) ، التى تجاهلت طُعمه تمامًا ، وغاصت فى الأعماق مبتعدة ، فقال فى سخط :

ـ ها هو ذا واحد من تلك الأيام ، التى كنت تسألنى عنها أيها الرئيس .

رفع إليه (برودى) رأسه ، وسأله :

ــ أية أيام ؟

أجابه (كوينت) فى عصبية :

ــ الأيام التى لا نجد فيها شيئًا .

لم يكد ينطق عبارته حتى انجذب أحد سلكى قصبة الصيد ، فهتف فى انفعال :

ــ ها هو ذا صيد جيد .. هيا .. استعد أيها الرئيس ، لرفع الذراع ، وسحب الـ ...

تلاشى انجذاب السلك بغتة ، وبدا كما لو أنه قد تراخى دفعة واحدة ، فسأل (برودى) فى تردد :

ــ ما الذى يعنيه هذا ؟

عقد (كوينت) حاجبيه فى حيرة ، وهو يقول :

ــ لست أدرى .

ثم جذب السلك من الماء ، ورفع حاجبيه فى دهشة ، عندما تدلّى طرفه خاليًا من الطعم ، ومن الخطاف نفسه ، فأسرع يتحسّس طرف السلك المقطوع ، وأدار عينيه يتطلّع إلى الماء لحظات ، ثم قال فى حسم :

ــ أظننا قد التقينا بصاحبكم .

قفز (برودى) من مكانه هاتفًا :

ــ ماذا ؟

أما (هوبر) ، فقال فى انفعال :

ــ أحقًا .. هذا رائع .. رائع جدًا .

أشار (كوينت) بسبَّابته ، قائلًا :

ــ إننى لم أره ، ولكننى أراهن أنه هو ، فلقد قضم هذا السلك قضمة واحدة ، وبدون تردد .

سأله (برودى) فى توتر :

ــ والآن ماذا نفعل ؟

ــ سننتظر حتى يبتلع الطعم الآخر ، أو يظهر على السطح .

ــ ولماذا لا نستخدم الدرفيل الوليد ؟

ــ ليس قبل أن أتأكد من أنه هو .

خيّم عليهم صمت تام ، وهم يراقبون سطح الماء فى شغف ، ثم انجذب السلك الآخر بغتة ، فانتفض قلب (برودى) فى انفعال ، وراح يراقب السلك مرتجفًا ، إلى أن تراخى كسابقه ، فهتف (كوينت) :

ــ لقد فعلها اللعين مرة أخرى .

جذب الخيط الثانى ، ورآه مقضومًا كسابقه ، فقال فى حماس :

— سأضع سلكًا أكثر سمكًا .

سأله (برودى) :

— ألن يمكنه قضمه ؟

أجابه فى جذل :

— يستطيع لو أراد ، ولكننى أحاول جذبه إلى السطح فحسب .

راح يثبت السلك الجديد فى سرعة ، فى حين أخذ (هوبر) يلقي محتويات الدلاء من دماء وأحشاء فى عصبية ، حتى هتف فجأة :

— يا إلهى !

أسرع إليه (برودى) و (كوينت) يسألانه :

— ماذا حدث ؟

أشار إلى المؤخرة اليمنى للقارب ، قائلًا :

— انظرا .

لم يكد نظرهما ينتقل إلى حيث يشير ، حتى اتسعت عينا (كوينت) فى ذهول ، وأطلق (برودى) شهقة فزع

ودهشة ، فهناك ، على بعد ثلاثة أمتار فقط من مؤخرة القارب ، كان رأس السمكة المثلث الشكل يظهر فوق سطح الماء فى وضوح ، وهى تتطلع إليهم بعينيها الشديدتى السواد ، الخاليتين من أية تعبيرات ، وفكاها المنفرجان يشبهان حافتى كهف معتم عميق ، تحرس جانبيه أسنان مثلثة ضخمة حادة ..

.. وواجهت السمكة الرجال الثلاثة لعشرة ثوان تقريبًا ، قبل أن يهتف (كوينت) :

— أريد رمحًا .

وقفز محاولًا اختطاف أحد رماحه ، فى حين التقط (برودى) بندقيته فى سرعة ، فى نفس الوقت الذى غاصت فيه السمكة فى هدوء ، فأطلق (برودى) الرصاص خلفها ، دون أن يصيبها ، ورأى ذيلها يختفى فى الماء بليونة ، فقال فى خيبة أمل :

— لقد اختفى .

سمع من خلفه (هوبر) يهتف :

— رائع .. هذه السمكة فاقت كل تصوراتى .. إن عرض رأسها يبلغ مترًا ونصف المتر على الأقل .

هتف (كوينت) ، وهو يضع (رمحين وبرميلين ولفتين

ضخمتين من الحبال ، عند مؤخرة القارب :

ـ هذا ممكن .

سأله (هوبر) فى حماس :

ـ هل رأيت سمكة بهذا الحجم من قبل يا (كوينت) ؟

ـ ليس بالضبط .

ـ كم يبلغ طولها فى رأيك ؟

ـ من الصعب التحديد .. عشرين قدمًا تقريبًا ، وربما أكثر .. لست أدرى .

ـ يا إلهى !.. كم أتمنى أن تعود .

سرت قشعريرة فى جسد (برودى) ، وهو يقول :

ـ هذا غريب .. غريب جدًا .. لقد بدا لى كما لو أنه يبتسم .

قال (كوينت) :

ـ هكذا يبدون ، عندما يفتحون فكوكهم ، ولكن لا تقدره بأكثر مما يستحق .. إنه مجرد صندوق قمامة .

قال (هوبر) معترضًا :

ـ كيف يمكنك أن تقول هذا ؟.. إن هذه السمكة قطعة من جمال الطبيعة .

هزّ (كوينت) كتفيه ، قائلًا :

ـ كلام فارغ .

ثم اتجه مرة ثانية إلى الجسر ، فسأله (برودى) فى توتر :

ـ هل سنستخدم الدرفيل ؟

أجابه (كوينت) ، وهو يراقب الماء فى اهتمام :

ـ لا داعى .. لقد صعد إلى السطح مرة ، وسيصعد مرة أخرى حتمًا .

وهنا سمع (هوبر) صوتا من خلف ، فالتفت إلى المحيط ، وهتف :

ـ انظروا .

كان يشير إلى زعنفة ظهر القرش الضخمة ، التى ارتفعت فوق الماء ، على بعد عشرة أمتار من القارب ، والتى انطلقت تشقّ طريقها إليهما ، يتبعها ذيل ضخم ، يتلوّى يمينًا وشمالًا ، فى حركات منتظمة ، فصرخ (برودى) فى فزع :

ـ إنه يهاجم القارب .

أما (كوينت) فقد قفز يلتقط أحد رمحيه ، ولكن السمكة غاصت فجأة أسفل الزورق ، واختفت تحت سطح الماء ، فهتف فى سخط :

— أيها اللعين .. نبهنى أنك قادم فى المرة التالية .

ثم ضحك مستطردًا :

— المفروض أن أشعر بالامتنان له ؛ لأنه لم يهاجم القارب .

والتفت إلى (برودى) مضيفًا :

— لقد أثرّ فى أعصابك قليلًا .. أليس كذلك ؟

أجابه (برودى) :

— بل كثيرًا .. إن هذا الشىء لا يبدو لى مجرّد سمكة .. إنه أحد الوحوش المرعبة ، التى تظهر فى أفلام السينما .

قال (هوبر) فى حماس :

— بل هو مجرّد سمكة ، ولكنها سمكة رائعة .. هل تدرك إلى أى حجم يمكن أن تصل تلك الأسماك ؟ إن هذا القرش الذى رأيناه ، يبلغ الستة ، أو السبعة أمتار ، فحسب ، ولكنهم وجدوا فى (استراليا) قرشًا يبلغ طوله اثنى عشر مترًا .

اتسعت عينا (برودى) فى ذهول ، وهو يقول :

— حقًّا ؟!

أما (كوينت) ، فقد ردد فى ازدراء :

— كلام فارغ .

ولكن (هوبر) تابع بنفس الحماس :

— لا تجعلا هذا يدهشكما ، فهو ليس أضخم أحجام القروش ، إذ عثر العلماء على هيكل قرش ، يبلغ طوله ثلاثة وثلاثين مترًا ، و ...

قاطعه (برودى) فى توتر :

— كفى يا (هوبر) .

بدا الأسف على وجه (هوبر) ، كما لو كان يسعد بشرح معلوماته للآخرين ، فى حين التقط (كوينت) ورقة وقلمًا ، وراح ينظر إلى الشاطئ فى اهتمام ، ويدوّن بعض الأرقام على الورقة ، فسأله (برودى) :

— ماذا تفعل بالضبط ؟

أجابه فى هدوء :

— أحدّد موضعنا ، حتى يمكننا العودة غدًا ، إلى نفس المكان .

— وهل تظن أن القرش سينتظرنا هنا ، حتى نعود إليه ؟

— إننا لن نخسر شيئًا بالعودة .

— ولمَ لا نبقى ، حتى يظهر مرة أخرى ؟

— لأن الشمس ستغرب بعد قليل ، والظلام يجعله فى الموقف الأقوى ، إذ لن ننتبه إلى قدومه ، إلا بعد أن يلتهم أحدنا .

ارتجف جسد (برودى) ، لسماع العبارة الأخيرة ، وقال فى خفوت :

ــ فليكن .. سنعود إليه فى الغد .

وعندما اتخذ القارب طريق العودة ، كانت هناك عين سوداء ضخمة تتابعه بلا أية تعبيرات ..

.. على وعد بلقاء قريب ..

* * *

عقد (كوينت) حاجبيه فى غضب ، فى الصباح التالى ، وهو يتطلع إلى قفص من الألومنيوم ، على شكل مكعب ، طول ضلعه يناهز المترين ، ويحوى داخله لوحة تحكّم وخزانات أكسوجين ، وقال فى صرامة :

ــ لا .. لن تضع هذا الشىء على قاربى .

قال (هوبر) فى هدوء :

ــ ولِمَ لا ؟.. إنه خفيف الوزن ، ويمكننى أن أضعه فى أى ركن على القارب .

قال (كوينت) فى عناد :

ــ لا .. سيحتلّ مساحة كبيرة .

غمغم (برودى) :

ــ هذا ما يبدو لى .

وهتف (كوينت) فى حدة :

ــ ثم ما هذا الشىء ؟

أجابه (هوبر) فى أصرار :

ــ إنه قفص قروش ، يستعمله الغواصون لحماية أنفسهم ، عندما يغطسون فى المحيط .. لقد طلبت إرساله من (وودز هول) .

ــ وماذا تنوى أن تفعل به ؟

ــ عندما نجد السمكة ، أو تجدنا هى ، أريد أن أنزل فى هذا القفص لتصويرها ، فلم يحصل أحد على صور لسمكة فى هذا الحجم أبدًا .

ــ ليس على قاربى .

ــ ولِمَ لا ؟

ــ لأن هذه حماقة .. هذا هو السبب ، والرجل العاقل يعرف حدوده ، وأنت تتعدّى حدودك .

ــ كيف تعرف هذا ؟

ــ هذا يتعدّى إمكانيات أى رجل ، فسمكة بهذا الحجم يمكنها أن تلتهم قفصك هذا فى الإفطار .

ـ لن تفعل هذا .. قد تضربه بذيلها ، أو برأسها ، ولكنها لن تحاول أكله .

ـ ستفعل ، خاصة عندما تجد داخله طُعمًا مغريًا مثلك .

ـ أشك في هذا .

ـ لا .. انس الموضوع تمامًا .

ـ اسمع يا (كوينت) .. إنها فرصة نادرة لتصوير قرش حى ، طوله ستة أمتار ، يسبح فى المحيط ، ولن أتنازل عنها أبدًا .

ثم أضاف بلهجة مختلفة :

ـ ثم إننى سأدفع لك .. سأمنحك مائة دولار عدًا ونقدًا .. الآن .

مطّ (برودى) شفتيه فى ضيق ، فى حين عقد (كوينت) حاجبيه ، وقال :

ـ فليكن .. لو أراد أى غبى أن يقتل نفسه ، فليس من حقى منعه من ذلك .

ناوله (هوبر) المائة دولار ، وهو يبتسم فى ارتياح ، قائلاً :

ـ ستموت وقد حققت ثروة يا (كوينت) .

قهقه (كوينت) ضاحكًا ، وقال :

ـ أليست فكرة رائعة ؟

لم يشاركهما (برودى) ضحكاتهما ، إذ لم تكن فكرة قفص القروش هذه تروقه كثيرًا ، وإن أدهشته خفة القفص العجيبة ، وهو يحمله مع (هوبر) فى بساطة إلى سطح الزورق ، ولكنه لم يتصوَّر فكرة هبوط أى شخص عاقل إلى الأعماق ، مع وجود قرش بهذا الحجم هناك .

.. ومنذ الإبحار ، وحتى بلغوا موضع اليوم السابق تقريبًا ، لم ينطق (برودى) بكلمة واحدة ، ثم لم يلبث أن سأل (كوينت) :

ـ هل سنعود إلى نفس المكان ؟

أجابه (كوينت) فى هدوء :

ـ لقد اقتربنا منه كثيرًا .

ـ أتعتقد أن السمكة ستنتظرنا هناك ؟

ـ لست أدرى ، ولكن ليس لدينا ما نفعله سوى هذا .

ـ هل تذكر أوَّل حديث هاتفى لنا ؟ عندما قلت : إن سر نجاحك هو أنك أذكى من الأسماك ؟

ـ هذا أمر طبيعى ، فكل الأسماك كائنات متناهية الغباء .

ـ ألم تصادفك أبدا سمكة ذكية ؟

ـ ليس بعد .

نطق (كوينت) الكلمة الأخيرة ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ، فقال (برودى) :

ـ ولكن تلك السمكة بدت لى أمس فى منتهى الخبث ، كما لو كانت تدرك تمامًا كل ما تفعله .

ضحك (كوينت) ، وقال :

ـ إنك تقدّر الأسماك بأكثر مما تستحق بالفعل .

قال (برودى) فى تحد :

ـ ولكن ألم تفشل يومًا فى صيد سمكة ما ؟

ـ بالتأكيد ، ولكن هذا لا يعنى أنها ذكية أو خبيثة ، بل يعنى فقط أنها لم تكن جائعة .

قالها وجذب ذراع التوقّف ، فأبطأت سرعة القارب ، حتى راح يتهادى مع الأمواج ، وأخرج (كوينت) من جيبه ورقة البارحة ، وراجع بياناتها فى اهتمام ، ثم أغلق مفتاح التشغيل ، فتوقّف المحرّك ، وساد صمت ثقيل مفاجىء ، قبل أن يقول هو لـ « هوبر » :

ـ هيا يا (هوبر) .. ابدأ فى إلقاء المخلفات فى الماء .

رفع (هوبر) غطاء أحد الدلاء ، وراح يلقى الدماء وأحشاء الأسماك منه فى البحر كل فترة ، ثم لم يلبث أن شعر بالتعب والملل ، فتوقّف عن فعل هذا ، وران السكون على القارب فترة طويلة ..

.. وفجأة قفز (هوبر) واقفًا ، وصرخ :

ـ ها هو ذا .

وكان هذا إيذانًا بمواجهة جديدة ..

.. ومخيفة .

* * *

١١ — القفص ..

شعر (برودى) بنبضاته تتسارع ، وهو يتطلّع إلى الزعنفة الرمادية المثلثة ، وهى تشق المياه ، يتبعها الذيل المنجل ، بضرباته القصيرة المنتظمة ، على بعد عشرة أمتار من مؤخرة القارب ، وازدرد (برودى) لعابه فى توتر ، وهو يسأل (كوينت) :

— ماذا ستفعل ؟

أجابه فى انفعال :

— لا شىء .. حتى نرى ما سيفعله هو .

ثم التفت إلى (هوبر) مستطردًا :

— ألق المزيد من الدماء والأحشاء فى الماء يا (هوبر) حتى نحضره إلى هنا .

وحمل برميلًا ورمحًا ولفة حبال إلى الجسر الصغير ، فى مقدمة القارب ، ووقف ينتظر فى لهفة ، ولكن القرش راح يدور حول القارب فى بطء ، دون أن يقترب لأكثر من عشرة أمتار ، فقال (كوينت) فى توتر :

— عجبًا !!.. لست أفهم هذا .. كان لابد وأن يأتى نحونا ، ليستطلع الأمر على الأقل ..

ثم اتجه إلى (برودى) ، قائلًا :

— انزع الطعم من السلك يا (برودى) ، وألقه إليه فى الماء بقوة ، لتثير اهتمام ذلك الوغد .. هيا .

وراح هو أيضا يضرب الماء برمحه ، محاولًا إثارة أكبر قدر ممكن من الضجيج ..

.. ولكن القرش لم يقترب .

.. وهنا قفز (كوينت) إلى الثلاجة الصغيرة ، وانتزع منها الدرفيل الوليد ، وهو يقول فى حدة :

— حانت لحظة ذهابك أيها الصغير .

وراح يربط سلسلة قوية فى فك الدرفيل ، ورفعه فى الهواء ، وطعنه عدة طعنات ، ثم ألقاه فى الماء ، وهو يقف بقدمه فوق السلسلة ، ويحمل رمحه فى تحفز ، فسأله (هوبر) :

— لماذا تقف فوق السلسلة ؟

أجابه فى انفعال شديد :

— لا أريد أن يبتعد الدرفيل كثيرًا ، حتى يمكننى طعن القرش بالحربة .

لم يقترب القرش على الفور ، وإنما راح يدور حول القارب ، على هيئة دوامة متناقصة ، إلى أن صار يبعد عنه خمسة أمتار تقريبًا ، فنزل ذيله تحت سطح الماء ، وتراجعت زعنفته ، وظهر بدلًا منها رأسه الضخم ، بابتسامته المخيفة ، وعينيه الشبيهتين بكهفين سحيقين ..

.. وارتجف (برودى) ، وهو يحدّق فى العينين برعب ، فى حين أمسك (كوينت) الرمح فى قوة ، قائلًا :

ــ هيا .. اقتربى أيتها السمكة الجميلة ؛ لترى ماذا أعددنا لك .

مضت برهة أخرى ، والسمكة معلقة فى الماء على هذا النحو ، ثم انزلقت فجأة بلا أدنى صوت ، واختفت فى الماء ، فقال (برودى) فى توتر :

ــ أين ذهب القرش ؟

قال (كوينت) ، وهو يصوّب رمحه نحو الدرفيل العائم :

ــ اطمئن .. سيعود .

وفجأة اهتزّ القارب فى قوة ، ومال بشدة ، واختلّ توازن (كوينت) ، فوقع ظهره فوق الجسر ، واهتزّ (برودى) فى عنف ، وراح مقعده يدور فى سرعة ، فى حين اندفع (هوبر)



لم يقترب القرش على الفور ، وإنما راح يدور حول القارب ، على هيئة دوامة متناقصة ، إلى أن صار يبعد عنه خمسة أمتار تقريبًا ..

يرتطم بحافة القارب العليا ، وأخذ الحبل المربوط بالدرفيل يندفع وينجذب فى قوة ، جعلت خيوطه تتقطع ، وخشب السطح المرتبط بها يفرقع ويتشقق ، ثم فجأة ارتدّ الحبل فى عنف ، وبدا طرفه مقطوعا ، بدون الدرفيل ، فاندفع من بين شفتى (كوينت) سيل من الشتائم ، فى حين هتف (برودى) :

— إنه يتصرّف كما لو كان يعرف ما تحاول فعله .. لقد عرف أنه يستطيع أخذ الدرفيل ، لو أفقدك توازنك .

هتف (كوينت) فى غضب :

— ذلك اللعين .. إننى لم أر فى حياتى سمكة تفعل هذا .

سأله (برودى) :

— كيف تظنه تخلّص من الخطاف ، دون أن يخلع المربط الحديدى من مكانه ؟

اتجه (كوينت) إلى حافة القارب ، وأخذ يسحب الحبل قائلا :

— ربما قضم السلسلة ، أو ...

بتر عبارته ليهتف فجأة :

— يا إلهى !

أخرج السلسلة من الماء سليمة ، ولكن الخطاف فى نهايتها لم

يعد ملتويا ، بل صار مستقيما تماما ، وهتف (بوردى) :

— يا إلهى !.. لقد فعل هذا بفمه !

حدّق (كوينت) فى الخطاف المفرود فى ذهول ، وهو يقول :

— لقد فرده فى سهولة .. ربما فى ثانية أو ثانيتين .

شعر (برودى) برأسه يدور ، وبجفاف فى حلقه ، وترنح من شدة الرعب ، الذى ملأ كيانه كله ، وجلس على المقعد الدوار قبل أن تعجز قدماه عن حمله ، فى حين قال (هوبر) ، الذى يقف فى المؤخرة ، محدّقا فى الماء :

— تُرى أين ذهب ؟

أجابه (كوينت) ، وهو يعدّ الرمح مرة ثانية :

— إنه فى مكان ما حولنا ، ولم يشبعه الدرفيل بالطبع ، وسيبحث عن المزيد من الطعام ، وعلينا أن نجذبه بمزيد من الطعم .

راقبه (برودى) وهو يعد الطعم والرمح والحبال ، وانتظر حتى انتهى (كوينت) من إعداد كل شىء ، وجاء يجلس إلى جواره ، فقال :

— من المؤكّد أن درجة ذكاء هذه السمكة مرتفعة للغاية .

نطقها وهو يتمنى أن يعارضه (هوبر) أو (كوينت) ، لتزيل معارضتهما شيئا من رعبه ، إلا أن (كوينت) قال فى توتر :

— لست أدرى ما إذا كانت ذكية أم لا ، ولكنها تفعل ما لم أر فى حياتى سمكة تفعله .

لم ينبس (برودى) بعدها ببنت شفة ، وهو يجلس صامتا كرفيقيه ، وثلاثتهم يتطلّعون إلى سطح الماء ، وكل منهم يتوقّع أن تبرز الزعنفة العملاقة فجأة ، إلى أن قال (هوبر) على نحو مباغت :

— فلننزل القفص إلى الماء .

ارتجف (برودى) ، وهو يقول :

— هل جننت ؟

أجابه (هوبر) :

— لا .. إننى عاقل للغاية ، فالقفص هو الوسيلة الوحيدة لاجتذابه .

صاح (برودى) :

— وأنت داخله ؟!

قال (هوبر) :

— لا .. ليس فى البداية .. سننزله فارغًا أوّلا ، لنرى رد فعله ، ثم أهبط إليه بعد ذلك .

نهض (كوينت) قائلا :

— فكرة جدية .

انكمش (برودى) فى مقعده ، وهو يراقبهما يعدان القفص للهبوط ، ويربطان سقفه إلى القارب فى إحكام ، وتساءل مستنكرًا عن ذلك الجنون ، الذى يدفع (هوبر) إلى التفكير فى الهبوط إلى الماء ، مع وجود وحش البحار هذا ، ثم لم يلبث أن قال فى حدة :

— أتظن أن هذا القفص سيدفعه إلى الخروج إلى السطح ؟

أجابه (هوبر) :

— أنا لم أقل هذا ، ولكنه سيأتى لرؤيته على الأقل .

أنزل القفص مع (كوينت) تحت سطح الماء ، وانتظر الجميع طويلًا ، ولكن القرش لم يظهر قط ، فهبط (هوبر) إلى أسفل القارب ، وعاد حاملًا أدوات التصوير ، فسأله (برودى) فى جزع :

— ماذا ستفعل ؟

— سأنزل تحت الماء ، فى القفص ، فربما يغريه هذا بالمجىء

— لقد فقدت عقلك تمامًا .. وماذا لو جاء بالفعل ؟

— سألتقط له بعض الصور أوّلًا ، ثم أحاول قتله .

— بماذا ؟

رفع عصا رفيعة فى يده ، وأجاب :

— بهذه .

قهقه (كوينت) ضاحكًا ، وقال :

— يمكنك على الأقل أن تدغدغه بها ، حتى يموت ضحكًا .

قال (هوبر) فى جدية :

— إنها ليست مجرّد عصا .. إنها بندقية أعماق ، تحوى قذيفة من الرصاص ، لو أصابت المكان المناسب من أى كائن ، مهما بلغت ضخامته ، فستكفى لقتله .. والمكان المناسب ، فى مثل هذا القرش ، هو المخ .

قال (كوينت) فى هدوء :

— هذا لو لم يقتلك هو أوّلًا .

ثم مطّ شفتيه ، مستطردًا :

— إننى أكره أن يبتلعنى ديناصور يزن خمسة أطنان .

تطلّع إليه (هوبر) لحظة ، ثم قال فى برود :

— لاحظ أنك لم تنجح مع هذه السمكة يا (كوينت) ،

وأنها تلتهم ما تقدّمه لها من طعم ، دون أن تظفر منها بسن واحدة .

— سيصعد ذلك القرش إلى السطح ، وسأظفر به .

— هذا لو أمكنك أن تحيا لقرن من الزمان .

— هل تحاول تعليمى مهنتى يا فتى ؟

— لا ، ولكننى أخبرك أن هذا القرش أكبر مما يمكنك صيده .

— هكذا ؟!.. هل تعتقد أنك ستنجح ، فيما يفشل فيه (كوينت) .

— نعم .. أعتقد أننى أقدر منك على قتله .

— فليكن .. خذ فرصتك .

هتف (برودى) معترضًا :

— لا .. لا يمكننا أن نسمح له بالنزول فى هذا الشىء .

ولكن (كوينت) أشار إلى القفص ، قائلًا :

— هيا يا مستر (هوبر) .. ادخل ذلك الشىء .

هتف (هوبر) ، وهو يرتدى ثوب الغطس فى سرعة :

— حالًا .

استعدّ للهبوط إلى القفص ، وهو يقول لـ (برودى) :

ــ راقب ما يحدث ، واحمل بندقيتك ، فقد يمكنك صيده ، أما أنت يا (كوينت) ..

قاطعه (كوينت) فى صرامة :

ــ أعرف ما ينبغى فعله .

وعلى الرغم من غضب (كوينت) ، فقد تعاون مع (برودى) على رفع القفص إلى السطح ، وساعد (هوبر) على الدخول إليه ، ثم أدلّاه مع (برودى) إلى ما تحت سطح الماء ، ولم يكد القفص براكبه يختفـى ، حتـى ارتجف (برودى) ، وقال :

ــ أتظنه سينجو ؟

أجابه (كوينت) باقتضاب مخيف :

ــ لا .

وكان الجواب يكفى ..

* * *

امتلأت نفس (هوبر) بالسكينة والهدوء ، عندما وجد نفسه فى الأعماق ، فهو منذ حداثته يعشق الغوص ، ويجد فيه الشعور بالحرية والارتياح ، وإن حُرِمَ من الشعورين هذه

المرة ، بسبب ذلك القفص الذى يحدّ من حريته ، والقرش الذى يهدد أمنه وراحته ..

.. وراح (هوبر) يدير عينيه فيما حوله ، محاولاً اختراق حاجز عتمة الماء ، بحثًا عن القرش ، وتشبّث بآلة التصوير وبندقية الأعماق ، وهو يتساءل عن ذلك القرش العجيب ، الذى يخطّط ويدبّر ، كما لو كان كائنًا ذكيًا عاقلًا ..

.. وفجأة وقع بصره عليه ..

.. كان يرتفع نحوه من الأعماق فى نعومة وهدوء ، ودون أدنى مجهود ، كما لو كان ملك الموت ينزلق نحو موعد مقدّر من قبل ..

.. وتطلّع إليه (هوبر) مبهورًا مأخوذًا ، وراح يتأمل ألوانه الجميلة الزاهية ، وهو يقترب منه فى سكون رهيب ، ثم يتجاوزه فى عظمة ولا مبالاة ، كما لو كان يستعرض قوته وضخامته ..

.. وبلا وعى ، مدّ (هوبر) يده فى نشوة ، يتحسّس جانب القرش ، الذى بدا لأصابعه باردًا ، صلبًا ، ناعمًا ، وترك أصابعه تربّت عليه فى سعادة ، حتى أزاحها ذيله الضخم فى قسوة ، وابتعدت السمكة فى عظمة وخيلاء ، ورأى (هوبر)

وتطلّع إليه (هوبر) مبهورًا مأخوذًا ، وراح يتأمل ألوانه الجميلة الزاهية ، وهو يقترب منه فى سكون رهيب ..

فقاعات تبرز على السطح ، وأدرك أنها رصاصات تنطلق خلف السمكة ، فشعر بالضيق لأن رفيقيه يحاولان قتلها ، قبل أن يلتقط لها مجموعة كافية من الصور ، ولكنه رفع آلة التصوير السينمائية إلى عينيه ، وتابع السمكة وهى تختفى فى عتمة المياه ، حتى لم يعد هناك أثر لها ..

.. ثم رآها تستدير فى بطء ، وتتجه إليه ، وخيِّل إليه أنها تنطلق هذه المرة بسرعة أكبر ، ثم لم يلبث أن أدرك أنها تنطلق بسرعة كبيرة بالفعل ..

.. أدرك هذا فقط ، عندما ارتطم رأسها بالقفص ، وحطَم بعض قضبانه ، وبدأ يعبرها إليه ..

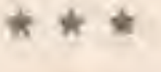
.. وسقطت آلة التصوير من يد (هوبر) ، وخرج خرطوم الهواء من فمه ، وهو يلتصق بالجانب البعيد من القفص ، والسمكة تضربه برأسها ، محاولة الوصول إليه ، والتهامه ..

.. وبدأ صدره يضيق احتياجًا للهواء ..

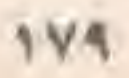
.. ويضيق ..

.. ويضيق ..

.. ويضيق ..



* * *



ارتجف (برودى) رعبا ، وهو يصرخ :

ــ إنها تهاجمه .. تلك اللعينة تحاول قتله .. ساعدنى يا (كوينت) على إرجاعه .

ولكن (كوينت) صاح فى مرارة :

ــ لا فائدة .. اللعنة على تلك السمكة القذرة .

صاح به (برودى) :

ــ ارمها برمحك يا (كوينت) .. ارمها برمحك .

هتف (كوينت) :

ــ لا أستطيع .. لابد أن تصعد إلى السطح .. هيا أيها الشيطان .. اصعد أيها اللعين .

لم يعره القرش انتباها هذه المرة ، إذ كان يبذل أقصى جهده لتحطيم القفص ، وانتزاع (هوبر) منه ، ولكن هذا الأخير نجح فى العثور على خرطوم الهواء ، فوضعه فى فمه ، واختنق لحظة منه ، ثم لم يلبث أن عاد يتنفس فى ارتياح ، ولكن ذلك الارتياح تلاشى مع مشهد أسنان القرش العملاقة ، وهى تحاول التهامه ، فتراجع ليلتصق بظهر القفص ، وتذكّر فجأة بندقية الأعماق ، ثم لم يلبث أن عضّ شفتيه قهرا وندما ، عندما لم يجدها فى قبضته ، ثم ..

.. ثم أطبقت عليه أسنان القرش فجأة ، وانغرست فى جسده ..

.. ورأى (هوبر) أمامه سحابة من الدم ..

.. من دمه هو ..

.. وكان هذا آخر ما رآه ..

.. وفى أعلى صرخ (برودى) :

ــ لقد أمسك به يا (كوينت) .. افعل شيئا .

قال (كوينت) :

ــ لا فائدة يا (برودى) .. لقد مات .

برز القرش على السطح ، فى نفس اللحظة ، على بعد خمسة أمتار من القارب ، وهو يمسك جثة (هوبر) بين أسنانه ، فتراجع (برودى) كالمصعوق ، فى حين صاح به (كوينت) ، وهو يرفع رمحه :

ــ أطلق النار يا (برودى) .. أطلق النار .

ثم ألقى رمحه ، ولكن السمكة غاصت فى الماء بسرعة ، فمرق الرمح من فوقها ، وسقط فى الماء ، وصرخ (كوينت) :

ــ أطلق النار يا (برودى) .. أطلق بالله عليك .

وهنا فقط أطلق (برودى) النار ، ولكن كل رصاصاته طاشت فى الهواء ، واختفى القرش فى الماء بجثة (هوبر) ..

.. ثم ساد السكون ..

.. سكون رهيب مخيف ، قطعه (برودى) بلهجة أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :

ــ ماذا سنفعل الآن ؟.. يا إلهى !.. ماذا يمكننا أن نفعل ؟.. الأفضل لنا أن نعود .

بدا (كوينت) جامدا ، وهو يقول فى صرامة :

ــ سنعود مؤقتا .

ــ مؤقتا ؟!.. ماذا تعنى بمؤقتا هذه ؟.. لم يعد أمامنا ما يمكننا القيام به .. إننا لن نهزم هذه السمكة اللعينة أبدا .. إنها ليست سمكة عادية .

ــ هل هزمتك يا رجل ؟

ــ نعم .. إننى أعترف بالهزيمة ، فما يحدث يفوق طاقة البشر .

انعقد حاجبا (كوينت) فى صرامة مخيفة ، وهو يقول :

ــ لا .. سأقتل هذا الشىء .

ــ لن يمكننى الحصول على مزيد من النقود ، بعدما حدث اليوم .

ــ احتفظ بنقودك يا رجل .. إنها لم تعد مسألة نقود .

ــ ماذا تعنى ؟

كان (كوينت) ينظر إلى البقعة التى اختفت عندها السمكة فى مرارة ، كما لو كان يتوقّع ظهورها مرة أخرى ، وهو يقول فى حزم عنيف :

ــ سأقتل هذه السمكة ، شئت أم أبيت .. يمكنك البقاء فى منزلك ، ولكننى سأبذل قصارى جهدى لقتلها .

تطلّع (برودى) إلى عينى (كوينت) ، اللذين بدتا له عميقتين ، شديدتى السواد ، مثل عين السمكة ، وتذكّر (هوبر) فاعتدل قائلًا فى حزم :

ــ سأصحبك يا (كوينت) .. سأصحبك فى الجولة الأخيرة .

وكانت الجولة الأخيرة بالفعل ، ولكن تُرى لصالح من ؟ البشر ، أم الفك ..

.. الفك المفترس؟

* * *

١٢ ــ المواجهة الأخيرة ..

من الخطإ أن نقول إن (مارتن برودى) قد استيقظ فى الخامسة ، من صباح اليوم التالى ، فصحيح أنه قد غادر فراشه فى هذه الساعة ، ولكن الواقع أنه لم يغمض له جفن طيلة الليلة ، وهو يفكّر فى كل ما حدث فى اليوم السابق ، وفيما يمكن أن يحدث له ، أو لـ (كوينت) ، فى المواجهة القادمة ..

.. كان يفكر فى (إلين) والأولاد ، وفيما سيواجههم ، لو لقى مصرعه هذه المرة ، كما حدث لـ (هوبر) المسكين ..

.. ثم كشف أنه لا جدوى من التفكير ..

.. إنه القدر ..

.. القدر الذى سيملى إرادته فى النهاية ، سواء قضى هو ليلته مفكّرا ، أو نائما ..

.. وفى هدوء ، تسلل من الفراش ، وانحنى يطبع قبلة وداع على جبين زوجته ، ثم ارتدى ثيابه ، وألقى نظرة على أطفاله فى فراشهم ، وغادر المنزل ..

.. وعند نافذة سيارته وجد نسخة من جريدة الصباح ، من (إلليدر) ، تحمل توقيع (هارى ميدوز) ، أسفل جملة واحدة ، تقول :

ــ اغفر لى يا (مارتن) .

لم يفهم ما الذى تعنيه العبارة ، فقرأ مقال (ميدوز) الافتتاحى ، وفوجىء به يبدأ المقال بتأبين (هوبر) ، ثم يقص القصة الحقيقية كلها على قرائه ، مشيدا بدور (برودى) ، الذى قاتل منذ البداية لإغلاق الشاطىء ، والذى دافع عن واجبه ومدينته خير دفاع ، وينهى المقال باعتذار عميق ، من كل سكان (أميتى) لـ (برودى) ، الذى تدفّقت عواطفه وهو يقرأ المقال ، فغمغم :

ــ شكرًا لك يا (هارى) .

ثم تنهّد مستطردا :

ــ وداع جيّد .. سيذكرنى أهل المدينة بالخير على الأقل .

انطلق بسيارته إلى مرفأ (كوينت) ، ووجد هذا الأخير ينتظره عند القارب ، فأوقف سيارته ، وقفز إلى القارب ، قائلا :

ــ صباح الخير يا (كوينت) .. الجو سيئ اليوم .

قال (كوينت) فى حزم :

ـــ فليكن .

أشار (برودى) إلى كتلة مغطاة ، وسأل :

ـــ ما هذا ؟

أجابه (كوينت) :

ـــ خروف .

ـــ لماذا ؟

ـــ طعم صغير لاصطياد ذلك الوغد .. هيا .. فك حبل المؤخرة ، فسنبحر وحدنا هذه المرة .

ـــ أعلم هذا .

نطقها (برودى) فى أسى ، وهو يحلّ حبل المؤخرة، وأبحر (كوينت) على الفور ، وسط بحر هائج متلاطم الأمواج ، أثار مزيدًا من قلق برودى ومخاوفه ، حتى بلغ القارب المياه العميقة ، باتجاه الجنوب الغربى ، فهدأت الأمواج ، وأصبحت الحركة منتظمة ، ثم هدأ صوت المحرّك ، وتوقّف القارب ، فقال (برودى) :

ـــ إننا لم نبلغ النقطة نفسها .

أجابه (كوينت) :

ـــ هذا صحيح .

ـــ لماذا توقّفت إذن ؟

ـــ راودنى إحساس غامض أنه هنا .. ما بين هنا و (أميتى) .

ـــ لماذا ؟

ـــ لا يوجد سبب لمثل هذه الأشياء .

ـــ ولكننا وجدناه فى منطقة أخرى ، فى المرتين السابقتين .

ـــ خطأ .. هو الذى وجدنا .

ـــ لست أفهمك يا (كوينت) .. كنت تصرّ فيما مضى على أنه لا توجد سمكة ذكية ، والآن تقول : إنها عبقرية .

ـــ ليس إلى هذا الحد .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـــ ولكننى لست أظن أننا سننتظر طويلًا .

ثم أشار إلى دلو المخلفات الدموية ، مستطردًا .

ـــ هيا .. ألق الطعم لذلك الوغد .

واتجه هو نحو الخروف ، فشق بطنه ، وربط عنقه بحبل ، وألقاه فى الماء ، على مقربة من القارب ، ثم أعدّ برميلين ورمحين وحبلين كالسابق ، وبعدها جلس قائلًا :

ـــ والآن سنرى كم سننتظر ذلك الوغد ؟

ظلا صامتين ساكنين ، حتى أشرقت الشمس ، وشرد (برودى) بأفكاره بعيدا ، حتى التقت عيناه فجأة بالعينين السوداوين الباردتين ..

.. ووجد نفسه يصرخ :

— يا إلهى !

كانت السمكة الهائلة تبرز برأسها هذه المرة على مسافة متر ونصف منه ، كما لو أنها تبتسم ساخرة ، وتتحداه ، فقفز فى رعب متراجعا ، وقد خيل إليه أنه يستطيع مد يده ولمس أنفها ، من هذه المسافة القصيرة ، ورأى (كوينت) يهرع إلى الجسر ، ولكن السمكة تحركت فجأة ، وأطبقت بفكيها على الجسر ، وراحت تهزه فى عنف ، كاد يلقى بـ (برودى) فى الماء ، وأسقط (كوينت) فى قاع الزورق بالفعل ، قبل أن تترك السمكة الجسر فجأة ، وتغوص مختفية فى الأعماق ..

.. وصرخ (برودى) :

— لقد كان ينتظرنا .

قال (كوينت) فى حزم :

— أعرف ذلك .

— كيف أمكنه أن ..

— لا يهم .. سنتمكن منه الآن على أية حال .

— نتمكن منه ؟!.. ألم تر ما فعله بالقارب ؟

— لقد هزه بقوة فحسب .

اهتز الحبل المربوط به الخروف ، وانجذب فى قوة — فى هذه اللحظة — ثم لم يلبث أن ارتخى ، فوقف (كوينت) متحفزا ، ورمحه فى يده ، وقال :

— لقد التهم الخروف ، ولن تمر دقيقة حتى يعود .

سأله (برودى) فى دهشة :

— ولماذا لم يأكله من أول مرة ؟

ضحك (كوينت) ، وقال :

— قلة ذوق وأدب .

ثم أضاف فى صوت مرتفع :

— تعال أيها اللعين ، وخذ ما تستحق .

بدا شديد الحماس والانفعال فى الصباح ، على نحو أدهش (برودى) ، الذى لم يلبث أن صرخ ، عندما اهتز القارب بعنف :

— ماذا يفعل ؟

لم يجبه (كوينت) ، وإنما انحنى على حافة القارب ، وصاح :

ـــ اصعد أيها اللئيم .. أين ذهبت شجاعتك .. إنك لن تغرقنى قبل أن أقضى عليك .

أجابه (برودى) فى توتر :

ـــ ما الذى تقصده بإغراقك ؟

أجابه (كوينت) بلا مبالاة :

ـــ إنه يحاول قضم قاع القارب ؛ ليغرقنا .

ارتجف (برودى) فى رعب ، ثم اتسعت عيناه فى شدة ، عندما رأى الزعنفة المثلثة تبرز إلى السطح ، ثم تندفع نحو القارب ، و (كوينت) يصرخ :

ـــ هيا .. تقدم .. تقدم بسرعة أيها الوغد .

كان يقف مفتوح الساقين ، حاملاً حربته ، ولم يكد القرش يقترب إلى مسافة أقدام قليلة ، حتى رماه برمحه ، الذى انغرس فى ظهر القرش ، قبل أن يصطدم القرش بالقارب ، فيسقط هو أرضًا ..

.. وراح الحبل المتصل بالرمح ينجذب فى سرعة ، حتى انتزع مع نهايته برميلاً ، غاص به إلى الأعماق ، فقال (كوينت) :

ـــ لقد أخذه معه إلى أسفل ، ولكنه سيظهر بعد قليل ، وسنرميه برمح ثان ، وثالث ، ورابع .. حتى يستسلم ، ويقع فى أيدينا .

انتقلت عدوى الحماس والثقة إلى (برودى) ، الذى هتف فى حرارة :

ـــ لعنة الله عليك أيها القرش .

هتف (كوينت) ، وهو يشير إلى الشمال :

ـــ ها هو ذا قادم ثانية .

حمل الرمح الثانى ، وانتظر حتى بلغ القرش القارب ، وارتفع رأسه وفكه وزعنفته إلى أعلى ، فأطلق رمحه على بطنه البيضاء هذه المرة وهتف :

ـــ فى هذا نهايتك أيها الشقى .

رأى (برودى) برميلاً آخر يسقط فى الماء ، ثم يبتعد مع البرميل الأول ، فهتف فى حماس :

ـــ انتصرنا .

ابتسم (كوينت) دون تعليق ، فأضاف (برودى) :

ـــ هناك بعض الماء ، الذى يتسرب داخل القارب بالطبع .

— لا تقلق .. سنضخ الماء ببساطة .

— هل انتهى الأمر إذن ؟

— لا .. ليس بعد .

قالها (كوينت) وهو يشير إلى البرميلين الخشبيين ، اللذين انطلقا خلف القارب ، تجذبهما قوة السمكة الهائلة ، فغمغم (برودى) :

— لماذا يتبعنا ؟. أما يزال يعتقدنا مجرّد طعام ؟

أجابه (كوينت) فى لهجة متوترة :

— لا ، ولكنه يرغب فى مقاتلتنا .

ولأوّل مرة ، منذ معرفته إياه ، رأى (برودى) (كوينت) يعبس فى قلق ..

.. لم يكن خائفًا أو منزعجًا ، وإنما كان ينظر نظرة رجل اعتاد لعبة ما ، ثم أخبروه فى المباراة النهائية أن القواعد قد تغيّرت بغتة ..

.. (برودى) هو الذى شعر بالخوف ، عندما رأى ذلك التغير ، فى وجه (كوينت) ، وسأله فى تردد :

— هل سبق لك أن واجهت سمكة فعلت هذا ؟

هزّ (كوينت) رأسه نفيًا ، وقال :

— أبدا .. إنهم قد يهاجمون القارب ، ولكنهم يتوقفون فور إصابتهم بالرماح ، لانشغالهم بالتخلّص من ذلك الشىء المغروس فى أجسادهم .

كان القارب يبحر بسرعة متوسطة ، ويناور مناورة بسيطة ، فى محاولة من (كوينت) للتخلّص من مطاردة القرش ، ولكن البراميل استمرّت تتبعه فى إصرار ، فهتف (كوينت) أخيرًا فى حنق :

— فليكن .. إذا كان يريد الحرب ، فسنحاربه .

ثم أبطأ من سرعة القارب ، وأسرع إلى الجسر ، ممسكًا رمحًا ثالثًا ، وقد عاوده الحماس ، وقال :

— حسنًا يا آكل النفايات .. تعال .. واجه مصيرك .

استمرت البراميل فى اندفاعها نحو القارب ، وهتف (برودى) فى شحوب :

— إنه يهاجمنا مباشرة .

ولكن البراميل اختفت فجأة تحت سطح الماء ، وساد سكون مخيف ، و (كوينت) يراقب الماء فى توتر بالغ ، إلى أن برزت البراميل مرة أخرى أمام مقدّمة القارب ، فغمغم (كوينت) :

— اللعنة !

واندفع من مكانه ، محاولًا اتخاذ وضع أفضل للتصويب ، ثم ألقى الرمح .

.. واصطدمت السمكة بالقارب ..

.. وعلى الرغم من فقدان (كوينت) لتوازنه مع الاصطدام ، إلا أن رمحه أصاب السمكة ، فوق العين اليمنى تمامًا ، ثم انجذب برميل ثالث ، اندفع مع البرميلين الآخرين مبتعدا ، وهتف (كوينت) :

ـ لقد أصبت رأسه هذه المرة .

ولكن البراميل الثلاثة اختفت تحت الماء بغتة ، فاتسعت عينا (كوينت) فى دهشة ، وهتف فى انفعال :

ـ مدهش .. هذه السمكة غير عادية .. كيف يمكنها الغوص بثلاثة رماح فى جسدها ، وثلاثة براميل تجذبها إلى أعلى ؟!

ارتجف القارب فور انتهاء عبارته ، وكأنه يرتفع من مكانه ، وظهر برميلان بغتة على أحد جانبى القارب ، وظهر البرميل الثالث على الجانب الآخر ، ثم اختفت البراميل الثلاثة كلها دفعة واحدة ، فهزّ (كوينت) رأسه ، وقال لـ (برودى) :

ـ اهبط إلى الكابينة ، وانظر ما الذى فعله بنا هذا الوغد .

هبط (برودى) وهو يرتجف ، ولم يكد بصره يقع على نافورة المياه ، التى تندفع داخل الكابينة ، حتى عاودته كل أحلام وكوابيس ومخاوف صباه ، وغمغم فى رعب :

ـ إننا نغرق !

وصعد إلى (كوينت) ، قائلًا :

ـ الموقف سيئ للغاية .. هناك الكثير من المياه فى الكابينة .

هزّ (كوينت) رأسه ، ثم ناوله رمحه ، وقال :

ـ من الأفضل أن أذهب لأرى بنفسى .. خذ هذا الرمح ، ولو ظهر ذلك اللعين وأنا بأسفل ، اضربه به .

وقف (برودى) على المنصة يرتجف ، وهو يحمل الرمح ، ويتطلّع إلى البراميل الثلاثة ، التى ظهرت مرة أخرى فوق السطح ، دون حركة تذكر ، وتمتم لنفسه فى خوف :

ـ هل يمكن فعلًا أن نقتلك ؟

انتفض عندما ارتفع صوت المحرّك بغتة ، وألقى نظرة مذعورة على البراميل الثلاثة ، التى بقيت هادئة على السطح ،

حتى أتى (كوينت) ، قائلا :

ـ لقد ثقب القارب بالفعل ، ولكن المضخات تعمل جيدا لإفراغ المياه ، وسيمكننا سحب القرش إلى الشاطىء .

ـ هل يمكننا سحبه بالفعل ؟

ـ نعم .. عندما يموت .

ـ ومتى يحدث هذا ؟

ـ إنها مسألة وقت فحسب .

ـ وماذا ينبغى أن نفعل ، حتى يحين هذا الوقت ؟

ـ لا شىء .. فقط سننتظر .

مضت ثلاث ساعات وهم يتابعون البراميل الطافية ، وهى تتحرك عشوائيًا فوق الماء .. فى البداية كانت تختفى كل ربع ساعة تحت الماء ، ثم تعود للارتفاع ، ثم بدأ الاختفاء يقلّ ، حتى أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة صباحا ، وأصبح النسيم لطيفًا ، وكانت قد مرّت ساعة كاملة ، منذ ظهرت البراميل لآخر مرة فوق سطح الماء ، دون أن تعاود الاختفاء ، فقال (برودى) فى أمل :

ـ هل مات ؟

هزّ (كوينت) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ أشك فى هذا ، ولكن ربما أوشك على الموت ، ويمكننا الآن أن نُلقى حبلا حول ذيله ، ونسحبه حتى يغرق .

التقط لفة من الحبال ، وربط أحد طرفيها فى مربط حديدى قوى ، ثم عقد الآخر على شكل خية دائرية ، وحرّك القارب نحو البراميل فى بطء ، وهو يستعد للابتعاد فى سرعة ، إذا ما هاجمه القرش ، ولكن البراميل لم تتحرك ، فمدّ (كوينت) خطافا ، والتقط حبل أحد البراميل ، وقطع نقطة اتصاله بالبرميل ، ثم تسلّق حافة القارب ، ومررّ هذا الطرف على بكرة ملعقة فى سارية القارب ، ومنها إلى رافعة كهربائية أسفل السارية ، ثم أدار محرّك الرافعة ، فراحت تسحب الحبل فى بطء ، ثم لم يلبث القارب كله أن مال نحو الحبل المشدود فى قوة ، فهتف (برودى) فى قلق :

ـ هل تحتمل الرافعة ثقله ؟

أومأ (كوينت) برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وهو يتابع الرافعة فى قلق ، وقد ارتفع منها أزيز قوى ، وأخذ الحبل يرتجف فى عنف ..

.. ثم فجأة جذبت الرافعة الحبل فى سرعة وسهولة ، فهتف (برودى) فى خوف :

ـ لقد انقطع الحبل .
ولأوّل مرة فى حياته ، رأى (برودى) الخوف فى عينى (كوينت) ، وهو يقول :
ـ اللعنة .. ذلك الوغد سينقضّ علينا .
ثم اندفع فى ذعر حقيقى نحو المحرّك ، محاولاً الابتعاد بالقارب ، على نحو لم يعهده (برودى) فيه من قبل قط ..
.. ولكن فجأة برزت السمكة الهائلة ..
.. برزت رأسيًا كجبل هائل ، حاجبًا الضوء عن عينى (برودى) ، الذى أطلق شهقة رعب كبيرة ، وهو يتطلّع إلى الزعانف الشبيهة بالأجنحة ، وهى تميل إلى الأمام قبل أن يهوى القرش الرهيب بجسده كله على مؤخرة القارب ، وتتحطّم أخشاب القارب فى عنف ، وتتطاير فى قوة ..
.. وفى ثوانٍ معدودة ، وجد (برودى) و (كوينت) نفسيهما فى الماء ، الذى يبلغ وسطهما ، واتسعت عينا (برودى) فى رعب هائل ، عندما رأى أسنان القرش على قيد متر واحد منه ، وخُيل إليه أنه يرى صورته منعكسة على عينيها الضخمتين السوداوين ، وسمع (كوينت) من خلفه يصرُخ :
ـ اللعنة أيها الشيطان الأسود .. لقد أغرقت قاربى .

ورآه يحمل رمحًا فى يده ، ويطعن به بطن السمكة الأبيض ، ورأى الدماء تتفجّر من موضع الطعنة ، وتغرق يد (كوينت) تمامًا ، فى نفس الوقت الذى ارتفعت فيه مقدّمة القارب إلى أعلى ، وهو يغرق ، ومالت مؤخرته إلى أسفل ، فانزلقت عنها السمكة ، والرمح منغرس فى بطنها ، وغاصت تحت الماء ..
وفجأة فقد (كوينت) توازنه وصرخ :
ـ السكين يا (برودى) .. السكين .
رآه (برودى) يرفع قدمه اليسرى ، التى التف الحبل حولها وراح يجذبه منها إلى القاع خلف السمكة ، فشهق (برودى) فى ذعر ، وراح يتلفت حوله بحثًا عن السكين حتى وجده مغروسًا فى الخشب ، عند الجانب الأيمن لحافة المركب ، فدفع جسده محاولاً الوصول إليه ، ولكن مقاومة المياه كانت قوية عنيفة ، و (كوينت) يصرخ :
ـ السكين يا (برودى) ..
كانت عيناه تحملان كل الفزع واليأس ، وهو يمد يده إلى (برودى) ، وحاول (برودى) أن يقفز للإمساك بيده ولكن جسد (كوينت) اختفى فجأة تحت الماء ..

.. وساد سكون رهيب ..

.. سكون مخيف ، جمّد الدماء فى عروق (برودى) ، الذى وصل الماء إلى كتفيه ، واتسعت عيناه فى رعب لا مثيل له ، وذهول بلا حدود ..

.. ها هى ذى كل مخاوف صباه وشبابه تتحوّل إلى حقائق ..

.. ها هو ذا غارق فى وسط المحيط ، يتشبّث بسارية المركب ، وتحته فى المياه العميقة وحش دموى هائل ، لا يشبع أبدًا من الضحايا ..

.. ثم ظهرت الزعنفة وخلفها ظهر الذيل ، وانطلقت السمكة نحوه ..

.. وصرخ (برودى) فى رعب :

ـ ابتعدى أيتها اللعينة .. ابتعدى .

ولكن السمكة واصلت اقترابها ، ورأى (برودى) الرأس الهائل المفلطح يرتفع فوق سطح الماء ، وهوى قلبه خارج جسده ، فأخذ يصرخ فى يأس ، بلا أمل ، وقد أغلق عينيه فى انتظار عذاب هائل رهيب ، لا يمكن تصوُّره ..

.. وشعر بالجسد البارد الصلب يلمسه ، فأطلق صرخة هائلة مجلجلة ..

.. ولكن شيئًا لم يحدث ..

.. ظلّت السمكة تلامسه فى سكون ، دون أن تفعل المزيد ..

.. وبجسد يرتجف كعصفور مبتلّ ، فتح (برودى) عينيه ، ليعرف ما حدث ..

.. ثم ارتجف ..

.. لقد كانت عينا السمكة فى مواجهته تمامًا ..

.. ولكنها كانت خالية من الحياة ..

.. وصرخ (برودى) غير مصدّق ..

.. لقد لقيت السمكة اللعينة مصرعها ..

.. أخيرًا نجح (كوينت) فى قتلها .. قبل موته ..

.. وفى بطء ، راحت السمكة الرهيبة تتهاوى إلى الأعماق السحيقة المظلمة ، وهى تجذب خلفها جثة (كوينت) المسكين ..

.. ولدقائق طويلة ، لم ينبس (برودى) ببنت شفة ، حتى شعر بسارية المركب تغوص خلف القرش ، فتركها وتعلّق بأحد البراميل الفارغة ، السابحة فوق الماء ..

.. وفى صمت ، راح يدفع قدميه نحو الشاطىء ، دون أن ينتابه الخوف هذه المرة ..

.. لقد انتهى الكابوس ..

.. فى أعماق البحر ..

* * *

تمت بحمد الله

رقم الإيداع : ٢٥٥٧
٩٧٧-١٦٣-٣٩٤-٥

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة لأشهر الروايات العالمية



الفك المفترس

لم يشهد رئيس الشرطة (برودى) ، طوال عمله فى مدينته (أميتى) ، حادثة واحدة تثير اهتمام أى شرطى عادى ، ثم فجأة ظهر ذلك القرش الرهيب ، الذى نشر الفزع فى الشاطئ كله ، وراح يلتهم ضحاياه بلا رحمة .. وكان على (برودى) أن يواجه تحديا حقيقيا ، لأول مرة فى حياته كلها ، متمثلا فى فك قاتل .. ومفترس .

العدد القادم : فوق مستوى الشبهات

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الثمن فى مصر
٢٥